ذكريات ورحلات في ربوع بلادي

تأليف
عبدالله بن حمد الحقيل

رحلات وذكريات في ربوع بلادي

تأليف
عبدالله بن حمد الحقيل
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ح عبد الله حمد الحقيل ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحقيل ، عبد الله حمد

رحلات وذكريات في ربوع بلادي . / عبد الله حمد الحقيل . – الرياض، ١٤٣٢هـ

١٤٤ ص ، ١٧×٢٤سم .

ردمك : ٧-٧٢٠٥-٠٠-٦٠٣ - ٩٧٨

١- الرحلات ٢- ادب الرحلات أ . العنوان

ديوي : ٩١٠,٤ ١٤٣٢/٣٦٣٣

رقم الإيداع : ١٤٣٢/٣٦٣٣

ردمك : ٧-٧٢٠٥-٠٠-٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الرحلات سبيل من سبل المعرفة والثقافة الإنسانية وأدب الرحلات استأثر باهتمام كثير من الأدباء والمؤرخين قديماً وحديثاً وعُني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ.

وبعد: لقد سافرت إلى أقطار عديدة وطوفت في آفاق بعيدة داخل بلادي وخارجها.

فهذا الكتاب (ذكريات ورحلات في ربوع بلادي) يمثل رحلات قمت بها في بلادي الحافلة بمعطيات الخير والنماء، حيث زرت الكثير من مناطق المملكة في مناسبات متعددة، فجاء الحديث عن معالمها وتاريخها وآثارها، وقد شاء الله أن يكون لهذه البلاد شأنها ودورها البارز في التاريخ منذ أن اختارها الله مكاناً لبيته العتيق ومهبطاً ..... لأفئدة عباده ومنطلقاً لخاتم أنبيائه.

ولقد قيل:

سفر الفتى لمناطق وديار ... وتجول في سائر الأمصار

علم ومعرفة وفهم واسع ... وتجارب وروايـة الأخبار

وما زالت بلادنا محتاجة إلى الرصد التاريخي وإلى المزيد من الدراسة والبحث المستمر وتحقيق الأمكنة والمعالم فيها فهي مهد العرب ومنطلق الإسلام وإحدى مناطق الحضارات القديمة، وفي فيافيها وحضارتها جري للعرب جولات وحروب سجلها الشعراء والمؤرخون فهي كنز للتاريخ، وكم شدني الأدب العربي القديم حيث ألمح فيه أسماء الجبال والأودية والبلدان التي سرت في دروبها واستروحت عبير رياضها وأمتعت بصري بمناظرها ونباتها. فمشاعري مزروعة في أرض وطني الحبيب الحافل بالموروث التاريخي والحضارات المتعاقبة والتضاريس المتنوعة والمعالم السياحية المختلفة والمواقع الأثرية.

وهذه الرحلات التي أقدمها لك أيها القارئ الكريم هي لمحات وذكريات

مختصرة وبعيدة عن الإسهاب الممل فهي مشاهدة عابرة وطرف من ذكريات، وهي صورة عامة لتلك البلدان ومهما بذل المرء من عناية وجهد في تأليف أي كتاب فقد تفوته أشياء كثيرة، ثم إني أردد مقولة القاضي الفاضل وبعضهم ينسبها للعماد الأصفهاني "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال من غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"، وأرجو أن يجد القارئ فيه من المتعة والفائدة ما وجدته أثناء ترحالي في هذه المناطق الغالية من بلادنا التي تحوي قبلة المسلمين، الكعبة المشرفة والحرم المكي والحرم النبوي التي استقطبت اهتمام الرحالة والباحثين والمؤرخين . وإن ثروات المملكة ليست نفطاً فقط وإنما تاريخ وتراث وحضارة وجمال بيئي متنوع.

بلادي بها ما يملأ العين بهجة وتسلي عن الأوطان كل غريب

ومهما كتب الباحث عن بلادنا فإن مناطقها وآثارها أوسع من أن يحاط بها. ونحمد الله أن مواصلات اليوم غيرها بالأمس فالطريق الذي كنا نسلكه في عدة أيام أصبح اليوم في بضع ساعات وكانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منتهى البساطة.

يا موطني دمت للأجيال مفخرة ودمت للعلم والإسلام والعرب

ولله أوفى الحمد والشكر على ما تنعم به بلادنا من إنجازات وعطاء ونماء وبناء ودور رائد ونهضة تنموية شاملة، وفي الختام فإني أضع تاريخ بلادنا أمام الباحثين وطلاب الدراسات العليا مادة للدراسة والبحث العلمي لما فيها من ثراء تاريخي وعلمي يستحق البحث والدراسة.

وبالله العون التوفيق ، ، ،

المؤلف

عبدالله بن حمد الحقيل

أهمية العناية بتاريخ مدننا وتراثها الثقافي

تعتبر الدراسات المتعلقة بالمدن أحد أهم فروع علم الجغرافيا في عصرنا الحديث وتزداد أهمية مثل هذه الدراسات، وكم نحن في حاجة إلى معرفة المزيد من مصادر تاريخنا المحلي وتراثنا، وأن نولي تاريخ مدننا العناية الفائقة، فنقوم بجمعه وحفظه ودراسته ونشره ضمن مشروعات علمية تاريخية تسد فراغاً واسعاً في المكتبة التاريخية وحفظ مصادر تاريخنا ... وتوثيق تاريخ بلادنا ومدننا وقرانا التي كانت ممتلئة بالحياة ولها تاريخ معروف في تاريخنا القديم، ونخرج عنها مؤلّفات تحفظ تاريخها وأعلامها وأماكنها التاريخية .. لقد هدمنا الكثير من المدن وتبعثر كل شيء فيها، واستبدل كل ما فيها من الماضي، ومسح منها ذلك التاريخ دون أن نوثق تلك المعالم والطرق والبيوت والبساتين التي عدت عليها عوادي الزمن، مما أدى إلى حدوث تغيرات سريعة في بنية ومظهر مدننا عمرانياً، تدخل الكثير اليوم من مدننا وقرانا وتحرص على قراءة تاريخها ومن بناها ومعرفة آثارها، فقد هدمنا كل ما فيها من تاريخ، فنحن للأسف لا نكتب تاريخ مدننا ولا نسجل أسماء من بناها. أعرف الكثير من البلدان والمعالم التاريخية التي كانت تعيش في أذهاننا وتردد في أفواهنا .. نتذكّر تلك المساكن والملابس والمآكل والمعالم والمساجد وغيرها، ولقد عدت عليها عوادي الزمن دون تسجيل وتوثيق، لقد بقيت تلك الآثار ذكريات في أذهان الكبار والمسنين الذين عاصروها رغم افتقارها إلى الدقة وعدم الشمول ... لقد نشأت أجيال طالعة لا تعرف عن مدننا وقرانا وحياتنا السابقة شيئاً، لقد رافقت العديد من الشباب في زيارات لبعض مدننا، فوجدتهم لا يعرفون عنها شيئاً ولا عن تلك المعالم والآثار القديمة، وفي ضوء هذا الواقع فإنّ مهمة الباحث تكون مضاعفة.. إنّ تاريخنا جزء مهم من هويتنا، وآثارنا تجسيد ملموس لها، وقد قيل:

وإذا لم تـــدر مـــا قـــوم مـــضوا فاســأل الآثــار واســتنب الــديارا

لقد حفظ الشعر الكثير من تاريخنا، فالشعر سجل حي للمؤرّخ، فهو مصدر للمعرفة ووعاء للثقافة، ولقد قيل (شعر العرب ديوانهم وحافظ آثارهم وتاريخهم)، ولقد حفظ الشعر الكثير من أسماء المدن وتراثها وحضارتها وأعلامها. وكم تهتم الأمم بالمحافظة على آثارها وتاريخها والعناية بتراثها، وصيانة ذلك من التمزق والشتات والضياع، وحراسته من العبث والاندثار ... ولا شك أنّ المتاحف اليوم في بعض بلادنا حفظت شيئاً من تاريخنا، فالمتحف مظهر حي يجسم أطوار التاريخ، ويمثل تاريخ المدن وحياة الأسلاف ومعرفة طبيعة تلك العصور الغابرة، وساعدت الباحثين والمؤرّخين ومن يهتم بدراسة التراث.

إنّ الكثير من مدننا وقرانا تذكّرنا بأشياء كثيرة بماضيها التاريخي المجيد وحاضرها المزدهر .. كل ذلك يجعلنا نتطلّع إلى أهمية كتابة تاريخ مدننا، وبتسجيل من بناها في مداخلها، وما بقى من تراثها وخصائصها الطبيعية، وهذا خير إجابة للتساؤلات الكثيرة التي نسمعها من شبابنا وأبنائنا عند زيارتهم لها، واستعادة شيء من بقايا آثارنا وتراثنا الذي هو شاهد على التاريخ والماضي العريق الذي بقي منه ما هو مدوّن في الكتب، حيث تبدّلت كل صوره وهدمنا ما فيها من آثار وتاريخ.

إنّ الأمل كبير في الاهتمام بتأريخ مدننا وتراثها الثقافي وتسليط الضوء على ذلك، وتقديم المزيد من المعلومات التاريخية عنها، فالمكتبة التاريخية الجغرافية ما زالت في حاجة إلى المزيد منها ولا سيما في هذه المرحلة التي تشهد فيها بلادنا نمواً مطرداً في مختلف الجوانب.

الرحلات رافد ثقافي وتاريخي

لقد عشق الإنسان السفر وقام بالرحلة من مكان إلى مكان منذ أقدم العصور.

ويتساءل كثير من الباحثين عن أدب الرحلات ودوره في تاريخ الأدب العربي، لقد كانت الرحلات عنصراً أدبياً قوياً في حياة المجتمع الإسلامي في عصوره الزاهرة ولقد ترك الرحالة ثروة من العلم لا تقدر بثمن ولو استعرضنا عمالقة أدب الرحلات وروادها لوجدنا أنهم تركوا للأمة من خلال رحلاتهم ثروة علمية وتاريخية وجغرافية وأدبية حافلة بكل ما لذ وطاب من أشعار قيمة وأخبار وأعلام وآثار وجبال وأودية وتراجم وفكر وثقافة وعلم وأدب.

ولقد أمد الكثير من الرحالة الثقافة العربية بثروة فكرية وتاريخية وجغرافية وجمعوا قدراً كبيراً من المعلومات وتظل أخبار الرحالة ورحلاتهم مصدراً من أهم مصادر المعرفة علماً وثقافة وخبرة وتجربة.

إن الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية لكشف المجهول والوصول إلى الغاية ومعرفة الحقيقة والاستمتاع بالتاريخ والآثار والطبيعة ولقد شغف الكثير بأدب الرحلات لأنه أدب ممتع وشهي وقد فطر الله الإنسان على البحث المستمر عن الحقيقة وحب المعرفة والاستطلاع والتعرف على هذه الدنيا ومظاهر الحياة فيها وما تزخر به جبال ووهاد وبحار وإنسان ونبات وآثار وحيوان.. الخ، فسلك فجاج الأرض ومفاوز الصحراء وركب متن البحر وتعرض لوحشة الأجواء والمحيطات وما تنطوي عليه من المخاطر والمتاعب وما يواجه من لفحات الهجير وشدة البرد والثلج والزمهرير وتردد الكثيرون على الأسفار وعشقوا الرحلات ولم يبالوا بالأهوال والأخطار بل عشقوا حب المغامرة إذ هي وسيلة إلى المعرفة والبحث وارتياد المجهول.

ولقد عني أسلافنا بالرحلات واهتموا بشأنها فسافروا من بلد إلى بلد لحضور مجالس العلم والأدب أو توثيق الأخبار والأحاديث ووصفوا الطرق والمعالم والناس وجابوا الأقطار والأمصار وتنقلوا بين المنازل والمسالك والديار ووصفوا الطرق وأحوال الأمم فتركوا آثاراً خالدة في التاريخ والأدب والجغرافيا الوصفية.. فوصفوا ما شاهدوه ودونوا ما رأوه بكل دقة وحصافة.. فأصبحت آثارهم معالم يهتدى بها حيث دونوا ثقافات الأمم وحضارتها وعلومها وأدبها وسجلوا ملاحظاتهم وتحليلاتهم فأسهموا بذلك في خدمة العلم والفكر وتنوير الأذهان والترويح إلى كل ما ينعش النفس ويبهج القلب.

وهكذا سيظل أدب الرحلات رافداً من روافد المعرفة والثقافة والأدب والتاريخ بحيث يحلق الرحالة في أجواء مختلفة وخواطر متفرقة ولا تقف عند الانسجام والمتعة فحسب وإنما تهدف إلى الأسوة والقدوة.. إلى العظة والعبرة وإلى ما يترك أثراً خالداً يعود بالفائدة والأسوة الحسنة. وفي كتب الرحلات فوائد مضاعفة لأنك تلتقي بالناس وتتعرف على الثقافات والبلدان خلال ذلك. والرحلات كما يقال شيء ثابت لا يأكله الدهر وهي باب من أبواب المعرفة وطلب العلم.. والثقافة وقد قيل:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

أدب الرحلات فن متميز

لقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ، وما زالت الرحلات إلى يومنا هذا مصدراً للتعرف على أحوال الأمم وثقافات الشعوب كما أن للرحلات أهميتها في اكتساب الخبرات واقتباس المعارف في شتى المجالات، ولقد فطر الإنسان على حب الاستطلاع واكتشاف كل جديد.

والرحلات مصدر للمؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع وفيها قدوة للمقتدي بحيث يستفيد منها العظة والعبرة والفائدة ويترك الأثر الحسن بما شاهد ورأى.

ويحرص كثير من الناس على الاهتمام بأدب الرحلات.. حيث إن الرحالة دائماً ينقل للقارئ صوراً وقصصاً وطرائف ومشاهدات لكل ما شاهد وسمع ورأى، وما أكثر ما حفل به التراث العربي الإسلامي من أخبار الرحلات والرحالة.

ويتساءل كثير من الباحثين عن أدب الرحلات ودوره في تاريخ الأدب العربي والواقع أن أدب الرحلات استأثر بالاهتمام وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ ماضياً وحاضراً قديماً وحديثاً.. حيث تحدثوا فيه عن مشاهداتهم والأماكن التي مروا بها وزيارة المعالم والآثار والمكتبات وما تحويه من مخطوطات ووصفها.. وكذا زيارة الأماكن التاريخية، وما زال هناك عشرات المخطوطات من المؤلفات عن الرحلات لطائفة كبيرة من العلماء لم تنشر بعد.

وينبغي ألا نهمل أدب الرحلات.. فهو فن متميز ومعلم بارز وأثر حيوي من معالم الثقافة والمعرفة يتطلب ذوقاً وحساً.. فهو بحق كحديقة غنَّاء تشتمل على ثمار يانعة ولاتخلو من الأشواك.

فالقارئ يطل منه على أنماط مختلفة وصور من صور الحياة وأشكالها المتباينة، ويرى ويشاهد من خلالها عوالم واسعة يستقرئ واقعها ويتعرف على بيئاتها وحياتها.. وإذا كانت الرحلات فيما مضى عملاً شاقاً وأسلوباً مضنياً.. فإنها اليوم بفضل التطور الحضاري والتقنية الحديثة صارت عملاً مريحاً، وما أجمل الرحلات التي نقرأها اليوم والتي تفيض بالمشاهدات الحية والملاحظات الطريفة والتجارب والمفاجآت والخبرة والمعرفة عن طريق المشاهدة والمعاينة وتمحيص الحقائق والقدرة على التعبير والدقة في التصوير، فكم من رحالة أمدنا بمعلومات تاريخية وجغرافية تتخللها إشارات ومعلومات عن الحياة وعادات الناس وعن المدن والجزر والقرى والجبال والأودية ومختلف الظواهر مما يمتع النظر ويثير الشجون بما يعرض للرحالة من أحداث وعبر وركوب الخطر.

وما أعظم أن نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة غافر: ٢٠]. هذه بعض المميزات التي أعطاها أدب الرحلات.

الجزيرة العربية في عيون الرحالة

الجزيرة العربية مهد الحضارات ومهبط الأديان وكانت مصدر الإمداد الحضاري والروحي للإنسان وهي منبع للثقافة والتراث الإسلامي؛ لذا فقد جذبت الجزيرة العربية الكثير من الرحالة الأوروبيين الذين كتبوا عنها مسجلين انطباعاتهم ووصفهم كما أسهمت أبحاثهم وأعمالهم في نقل صورة عنها من خلال المشاهدة للأماكن والمعالم والآثار والمكتبات التي زاروها، كما قام بعضهم بتدريس ما حملوا إلى أجيال جديدة من المستشرقين مما يحفل به التراث العربي الإسلامي من ثمار المعرفة والآداب والفنون، وما كتبه أسلافنا من شعر وفكر وحكمة وفلسفة منه ما نشر ومنه ما زال مخطوطاً في شتى مكتبات العالم، وفي السنوات الأخيرة بدأ الاهتمام من قبل أقسام التاريخ والآثار بالتنقيب عن الآثار تمثل في الدراسات والكشوفات والتنقيبات الأثرية وآثارها.

وتعد كتابات الرحالة عن الجزيرة العربية نقطة جذب وموضع اهتمام كثير من الشعوب والباحثين لما تميزت به من خصوصية وأهمية في إحدى مناطق الحضارات القديمة وملتقى الطرق التجارية ونقطة اتصال مهمة مع الحضارات الأخرى، فهي همزة الوصل التي تربط كل القارات لتكون قطب الأرض ورحاها ولذلك فقد حظيت بسجل تاريخي حافل بالأحداث.

ومن أبرز العوامل التي دعت الرحالة إلى الجزيرة العربية وجود المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، والتنافس الأوروبي على الخليج العربي وقيام الدولة السعودية وامتدادها ثم قيام الملك عبد العزيز بتأسيس المملكة العربية السعودية، فهذه العوامل وغيرها من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت مصدر جذب للرحالة إلى جانب ما تحفل به من معالم تاريخية ومناطق اثرية مهمة حظيت بدراسات موسعة من بعض الباحثين ولفيف من المستشرقين، حيث تحدثوا عن مصادر التاريخ في أرض التاريخ

وحضارة قوم عاد وثمود والأنباط وذي القرنين والرسالة المحمدية والحضارة الإسلامية التي أشرقت بنورها على أوروبا، حيث كان ظهور الإسلام حدثاً تاريخياً لا يشابهه حدث في تاريخ البشرية فقد استطاع أبناء هذه الجزيرة من اتباع هذا الدين أن يغيروا وجه الأرض تغييرا كليا في فترة من الزمان، ولا تزال البشرية كلها تعيش في آثار تلك التغيرات إلى يومنا هذا — ومن هنا فما زال العلماء والباحثون يستطلعون أحوال هذه الجزيرة والتعرف على حقائقها الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والحياة الفكرية ومظاهرها في اللغة والشعر والتعرف على آثارها، وأنها موطن حضارات موغلة في القدم أبرزها الممالك العربية في جنوب الجزيرة وشمالها وشرقها وغربها ومن أشهرها سبأ ومعين وحمير ولحيان وكندة، وعندما بزغ فجر الإسلام ازدهرت مكة والمدينة فحمل أبناء الجزيرة تعاليم الإسلام إلى شعوب الأرض.

أول رحلة إلى الرياض في ١٣٧٠هـ

لعل أول رحلة قمت بها إلى الرياض كانت عام ١٣٧٠هـ، وكنت أنشد قصيدة الإمام الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

وكان الوصول إليها عبر رحلة برية في سيارة كبيرة استغرقت من المجمعة إلى الرياض يوماً وليلة بعد أن مررنا بمجموعة من قرى منطقة سدير، وكان الوصول إلى موقف للسيارات في البطحاء ومنه إلى منزل أحد الأقارب.

وكانت الرياض أحياء صغيرة متقاربة تتشابه بيوتها ومبنية بالطين وتسقف البيوت بخشب الأثل وبعسبان النخيل وقل أن يخلو بيت من بئر للماء وحجرة للقهوة تسمى ديوانية.

لقد كانت الرياض بلدة صغيرة المساحة ذات خصائص تاريخية، إذ قامت على أنقاض مدينة حجر، وكانت مدينة حصينة محاطة ببوابات ومزارع، وما زلت أتذكر بساتين النخيل التي كنا نخرج إليها في المساء، وكانت هناك بوابات دخنة، والقري، والثميري، وآل سويلم، والظهيرة، والمرقب، والمذبح، وبوابة مصدة، وغيرها.

وما زلت أتذكر أحياء الرياض: الديرة، دخنة، الصفاة، شارع الثميري، سويقة القري، سوق الزل، شارع الوزير، شارع السويلم، شارع الظهيرة، الشميسي، وعليشة، وأم سليم وشارع سلام، العجلية، جبرة، شارع الأعشى، طريق الحجاز القديم، البطحاء، ومنفوحة، البديعة، شارع الخزان، حديقة الفوطة، الناصرية، الملز، وكان للعلماءء حينذاك مجالس معروفة يرتادها طلبة العلم.

وما زلت أذكر بوابات قصر الحكم الضخم، والتي أدركناها قبل توسعة

مدينة الرياض، وكذلك قصر المربع، والفوطة، الحلة وحلة بن نصار وعتيقة، والشميسي، وبقايا الأسوار والحصون، وقصر المصمك التاريخي، وهو الباقي إلى اليوم من الآثار القديمة، وما زلت أتذكر صوت السواني التي ترفع المياه وغير ذلك من الذكريات حيث كنا نذهب بعد العصر للجلوس في السوق، وبعد المغرب نلتقي في جامع الإمام تركي حيث توجد فيه مصابيح الكهرباء لمذاكرة الدروس، وبعد العشاء نخرج خارج أسوار المدينة لنستمتع بنسمات الهواء الناعمة والهدوء الجميل حيث لا صخب ولا ضجيج ، إلى خريص، صلبوخ، ديراب.

كما كنا نجلس في حديقة البلدية الواقعة في شارع الملك فيصل حيث كانت منتدى علمياً في ذلك الوقت، ولم يبق من الرياض القديمة إلا "الدحو" ولقد اتسعت المدينة وتجاوزت حدود أسوارها القديمة، واستقر اتجاه التوسع العمراني بقيام الملك عبدالعزيز ببناء قصر جديد له في المربع شمال مدينة الرياض القديمة، وتحول القصر إلى مجمع كبير، فهو صرح معماري شامخ له أبراج حصينة، ومن سلبيات هذا التوسع الذي شهدته المدينة القضاء على الآثار، وتلك البيئة القديمة بجمالها الأخّاذ وطرازها المعماري ونمطها التقليدي الجميل بأشكاله المختلفة، ويضم مركز الملك عبدالعزيز التاريخي اليوم مجموعة من الصور القديمة لبعض المعالم العمرانية والأحوال الاقتصادية منذ عهد الملك عبدالعزيز وفيها حفظ لتاريخنا بمراحله المختلفة وتتعرف عليها الأجيال القادمة صورة صادقة للتطور الذي عاشته الرياض وواكبته في عهود متعاقبة .

إن الكثير من الزوّار يقرؤون عن الرياض، وحينما يشاهدونها لا يصدقون ما يرونه من نهضة وتطور، لقد كانت الرياض منذ خمسين عاماً فقط بلدة صغيرة لا يزيد سكانها على ثلاثين ألف نسمة، وإذا تقابلت سيارتان كان الشارع لا يتسع لهما. وكانت المباني الطينية هي السائدة في الرياض.

فهذا التطور يعدّ من قبيل الخوارق التي يرجع الفضل في تحقيقها بعد الله إلى حكمة قيادتنا الرشيدة، وتفاني المسؤولين، وحيوية أميرها الأمير سلمان ابن عبدالعزيز وجهوده المخلصة.

وبعد فإن الصور عن الرياض قديماً ما زالت عالقة في الذاكرة والوجدان، وما زلت أذكرها بشيء من الحب حيث العالمية حضارةً وتقدماً وخططت جديداً بشق الشوارع الواسعة وإقامة الميادين الفسيحة وتجميلها بالحدائق والمتنزهات ودخلت في طور جديد من أطوار العمران والتعليم والتنمية. سوف يسطرها التاريخ الحديث للأجيال القادمة.

رأيت الرياض اليوم باسمة الثغر ... لها في قلوب الناس ضرب من السحر

توشت بأطياف الجمال عظيمة ... وتصبوا إلى العلياء سامية القدر

الجنادرية تاريخ وتراث

روضة من رياض اليمامة وقد ورد لها ذكر في الشعر والتاريخ تقع شرق الرياض يحدها غرباً نفود المعيزيلة وجنوباً السلي، وتأتيها السيول من عدة أودية وتملأ رياضها إلى ما يقرب من الخرج، وتعتبر هذه الروضة من متنزهات الرياض ولكم قمنا في عام ١٣٧٥هـ ونحن طلاب في كلية اللغة العربية برحلات إلى هذه الروضة وقد انطبعت صورتها في الذهن فكانت روضة خضراء في أيام الربيع وكنت أردد قائلاً:

الأرض قد كسبت رداء أخضرا والطل ينثر في رباها جوهرا

وكانت هذه المنطقة وما حولها برياضها الفيح وسهولها المترامية الأطراف وخمائلها في ذلك الزمن حدائق غلبا خصبة منعشة، واليوم صار اسم الجنادرية رمزاً نحو الآفاق الثقافية إذ الجنادرية تجارب الماضي وآفاق المستقبل تمزج بين عبق المجد والتراث وتجسد الأصالة وتعمق الثقافة وتؤصل معاني الإخاء وتعزيز الانتماء لهذا الوطن وتعميق الإحساس به ولا غرو فلهذه البلاد تاريخ مشرق الصفحات وضاء المعالم يحفل بالماضي العريق والحاضر الزاهر ولكل أمة من الأمم تراث تعتز به هو تعبير عن تجربة معاشة ورؤية معينة وموقف من مواقف الحياة.. والتراث يجسد أنماطاً شتى من العادات والتقاليد والأخلاق والأفكار والتاريخ ويعطي صورة عن الواقع التاريخي والفكري والاجتماعي لكل أمة. والتراث عنصر مهم من عناصر الأدب له مكانته الفكرية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية. والتراث كنوز وذخائر زاخرة بألوان من المعارف والتاريخ. ومهرجان الجنادرية وجه للثقافة وصورة للتراث ومحور لهذا النشاط التراثي والفكر الأصيل حقق نجاحاً كبيراً في إعطاء فكرة متميزة عن منجزنا الحضاري وتصحيح بعض الأفكار الخاطئة عن نهضتنا وتطورنا كما تهتم الجنادرية بالثقافة العربية والتواصل العربي والإسلامي والعالمي حيث دعي للمهرجان أعلام من العالم العربي والإسلامي والعالم وايجاد الحيوية

والتجديد في النشاط الثقافي والمحاضرات والندوات مما له فائدة وأثر في الساحة الأدبية السعودية ولقد أتيح لي اللقاء بعدد من المفكرين والأدباء في خارج المملكة فسمعت منهم ما يسر ويبهج عن تطورنا الفكري والأدبي، وإلى جانب ذلك نرى الاهتمام بعرض الصناعات والحرف وإحياء أمجاد ماضية حافلة. كما تمثل جوانب من نهضة بلادنا وتطورها ورقيها ونهضتها الحضارية ومنجزنا التنموي ونهضتنا الثقافية والاجتماعية والعلمية في مختلف المجالات، كما أن القرية الشعبية تحكي الماضي بمختلف صوره وأشكاله وليتعرف الأحفاد على ماضي الأجداد بكافة ضروبها وألوانها، ففي هذه القرية بكاملها امتزج الماضي بالحاضر والجديد بالقديم حيث يتجسد ذلك مبرزاً حياة أسلافنا وصبرهم ومعاناتهم الصعبة ومثابرتهم وأصالتهم وما كانوا يمارسونه من حرف وأعمال فيها مشقة وعناء وما قاسوه من شظف العيش والعمل الشاق الذي أكسبهم القوة والصلابة والصحة وكانوا مثالاً في عزة النفس والإباء والكرم والأخلاق والمحافظة على المثل والدين والمروءة ومكارم الأخلاق ولا شك أن الندوات والمحاضرات والأنشطة الفنية ومعارض الوثائق والكتاب وسباق الفروسية وندوات الأدب والشعر الفصيح والشعبي إلى غير ذلك من الفعاليات وهناك الكثير والمتجدد مما نراه في كل عام. لقد أصبحت الجنادرية رمزاً فكرياً وصورة للتراث وعنواناً تاريخياً ونافذة وحدثاً وصوتاً ثقافياً يطل المرء منها على التاريخ والفكر والتراث ولقد قيل:

وإذا لم تدر ما قوم مضوا فاسأل الآثار واستنبء الديارا

ولقد أصبح لهذا المهرجان أبعاد دولية وامتداد واسع فهو شاهد على التواصل الثقافي وتعزيز الجوانب الفكرية انطلاقاً من تقدير الدور الثقافي وأهميته والأمل كبير في مزيد من التوثيق والبحث والدراسة للموروث الشعبي والآثار وإخراجها في سلسلة من الكتب حيث إن ذلك عنصر حيوي وجانب مهم خاصة وأن الجنادرية أصبحت منبراً وصوتاً ثقافياً ومنتدى مرموقاً.

إشراقات الجنادرية

يحيي مهرجان الجنادرية كل عام عرساً يجمع فيه بين تراث الماضي التليد وعبق المجد وأصالة التاريخ وبين الحاضر الجديد، فأصبح تأصيلاً ثقافياً، وفيه يلتقي نخب من رجال العلم والأدب عربياً وإسلامياً وعالمياً، فتتلاقح فيه الأفكار وتتجدد فيه المفاهيم لتكوين رؤية عربية أصيلة عن تراث الأمة وفكرها المبدع، وفي فترة هذا العرس ينشط الحراك الثقافي والعلمي مما يزيد هذا المهرجان رونقاً وجمالاً ونهضة أدبية وعلمية لها أثرها الطيب، وأنشدت هذه القصيدة في إحدى مناسبات المهرجانات وأنشطته الثقافية.

عرس الثقافة والتاريخ والأدب ... غنّى به الشعر للأمجاد والنجب

جنادرية هذا الحشد من عربٍ ... فرحّبي فيهم شوقاً إلى العرب

فخادم الحرمين الله يحفظه ... رعاه حتى غدا شوقا لذي أرب

في كل عام لنا عرس يذكرنا ... حضارة العرب في الأزمان من حقب

شادوا حضارة عز جاد وابلها ... يسقي العطاش بفيض المزن للسحب

فيه الأصالة للماضي وحاضرنا ... والمجد يورق في التاريخ والكتب

به رقت كلمات الحب أغنية ... ووقعها كالندى للقلب من وصب

شدا بها الصوت حتى ماس سامعه ... من نغمة الحرف مثل البان في

وليس من خفة للعقل خامره ... راح يطيش به السُمّار من صخب

وإنما في معاني الشعر هام بها ... فلامست في الهوى قلبا لمنجذب

وضـمهم مـسرحا للـشعر ينقلـهم ... مـن أعصر غبرت في مـشهد عجـب

فجـال فـيهم مـع الأزمـان يطلعهـم ... مـا أنتجتـه يـد الأجـداد مـن سـبب

وظـل دهـراً رخـاء لا يعكـره ... إلا الأعـادي بعـين الحاسـد النهـب

وقريـة للـتراث اليـوم شـاهدة ... تبدي لنا ماضي الأجداد عن كثب

وكيـف عاشـوا زمانـا كلـه دأب ... فزينـوا عـصرهم بالجـد والـدأب

كانـت عـزيمتهم لا تنـثني أبـداً ... وتلـك آثـارهم عـز لمنتـسب

وأعملـوا فكـرهم والعقـل منفـتح ... يُـدني المحـال إذا رامـوه بالطلـب

صـاغوا الحـضارة مـن أنـوار شـرعهم ... فكـان فيهـا إضـاءات لمغـترب

وكانـت النـور يجلـو ظلـم أفئـدة ... هـي الجـلاء بـلا شـك ولا ريـب

جنادريـة هـذا العـرس فقـت بـه ... أسـواق يعـرب في الماضـي ولم تغـب

إن كـان سـوق عكـاظ نـال شـهرته ... وذي المجـاز فأضـحت مجمـع العـرب

واليـوم عرسـك لا خـافٍ ويقـصده ... أكـابر النـاس في جـد مـن الطلـب

وزينتـه أيـادي الفـن في ألـق ... حتـى بـدا حلـة براقـة القـشب

حـوى الفنـون وآدابـا لأمتنـا ... وزانـه حِـرَفُ الـصناع والنخـب

درجـت فيـه وفخـر المجـد يملـؤني ... وصورة الجد مـا كلـت مـن التعـب

إنـي لأشـكر مـن قـاموا بفكرتـه ... فـذاك إبـداع عقـل فـاق في الرتـب

بـه جمعـتم خـصالاً مـن ثقافتنـا ... علـم وفـن سمـا في مـشهد عجـب

وادي حنيفة بين الماضي الحي والغد المنشود

هذا الوادي يفوح فيه عبق الماضي الجميل وكنا ونحن طلاب في كلية اللغة العربية سنة ١٣٧٦هـ نخرج للنزهة والترويح عن النفس إلى الروابي والغيران وكثبان الرمال والفياض والأودية وفيها وادي حنيفة ونلتقي في رحاب هذا الوادي بسرد القصص والذكريات وروايات الشعر والتاريخ، وكان يتمتع ببيئة طبيعية خلابة وخاصة في أيام الشتاء والربيع حيث نذهب إلى مرتفعات الحائر ووادي نساح وغيرها من الأودية والهضاب وكنا نتذكر تاريخ هذه الأماكن.

وادي حنيفة جزء من مسمى اليمامة التي تمتد من نفود الثويرات شمالاً إلى الربع الخالي جنوباً، وكان يسمى بالعرض في سابق الأيام وكانت تسكنه قبيلتان بائدتان هما طسم وجديس وكانت بينهما حروب.

تذكرت تاريخ هذا الوادي أحد أشهر أودية الجزيرة العربية وأنا أتجول في رحابه بعد أن أعيد إلى الواجهة السياحية من جديد كمصدر طبيعي للمياه ومنتزه لسكان العاصمة بعد أن كان التدهور البيئي يطمس معالمه وتاريخه وما له من ذكر في التاريخ والشعر والأدب، حيث يجسد في الماضي حضارات بشرية متعاقبة. وكان ممراً لطرق التجارة التي تربط بلاد الرافدين بالحجاز ونجد وغيرها ولقد أحسنت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض صنعاً بإعادة الحياة إلى هذا الوادي التاريخي وإعادته إلى طبيعته.

وخلال الجولة شهدت إنشاءات وتجهيزات وتقنيات ولوحات تذكارية لمشروع تطويره المختلفة في مختلف المواقع بالوادي، فتحية لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز الذي قاد عجلة التنمية والتطوير في عاصمتنا الحبيبة، كما لا ننسى جهود عضو الهيئة العليا وزملائه المهندس عبداللطيف بن عبدالملك آل الشيخ بحيث سيصبح هذا الوادي متنزها. وإقامة

مشروع التلفريك، وستحيط به المقاهي والمطاعم وجعل هذا الوادي مصدراً ترويحياً وإقرار مبدأ الحماية البيئية للوادي واعتبار محيطه محمية بيئية ومنطقة تطوير، فشكراً للجميع بحيث سيصبح هذا الوادي واجهة سياحية وتراثية وتاريخية فهو أشهر أودية الجزيرة العربية وكانت تصب فيه أودية كثيرة ويستمر إلى السهباء وينتهي إلى نفود الدهناء ثم الخليج.

وبالجملة نحمد الله على النهضة الشاملة لعاصمتنا الحبيبة وتوفير أفضل الخدمات والمرافق لها حفظ الله وطننا ووفّق كل العاملين المخلصين وأدام على بلادنا نعمة الأمن والرخاء والازدهار.

وادي حنيفة أحد أشهر أودية الجزيرة العربية

تحظى الجزيرة العربية بوجه عام، والمملكة العربية السعودية بوجه خاص، بتاريخ حافل بالأحداث والمفاخر، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بأماكن جغرافية كثيرة، تركت بصمات ناصعة على جبين التاريخ، وجديرة بأن تعرف بها الأجيال، ومن ذلك وادي حنيفة، وهو من الأماكن الجغرافية التي لها شأن نابه وذكر خالد في الشعر والتاريخ، فهو يمثل شريان الحياة لمنطقة الرياض والمدن والقرى والمزارع القائمة على ضفافه، ويتمتع بخصائص جغرافية وبيئة زراعية وتاريخية، وهناك أودية كثيرة في اليمامة مثل: وادي مياه اليمامة الذي قال فيه الشاعر:

ردوا الجمال وقالوا إن موعدكم وادي المياه وأحساء به برد

يذكر أن وادي حنيفة يمتد إلى ١٢٠كم، وتصب فيه روافد طبيعية من الأودية تزيد على ٤٠ وادياً، وهناك أودية كثيرة لها روافد، وبها أعلام ومسميات، وهناك وادي المياه، ووادي البير وغيرها من الأودية المشهورة التي كانت تتدفق بمياه الأمطار، وهناك اهتمام بوادي حنيفة، وإجراء دراسة شاملة لتطوير الوادي كمصرف طبيعي للمياه، والاستفادة من المورد المائي، وتوفير مناخ ترويحي.

إن المياه هي الرافد والمطور لحياة هذا الوادي التاريخي العريق الذي كانت تصب فيه أودية وشعاب طويلة، وينحدر من شبه هضبة منداحة هي قلب العارض، إن المحافظة على هذا الوادي الكبير كمجرى طبيعي للأمطار يجعل الأنظار تتجه إلى سرعة الاهتمام بتهيئته كمنطقة ترويحية لما فيه من خصائص جغرافية وتراثية في مساحاته الممتدة، ولقد سبق لأمانة مدينة الرياض أن قامت بتنظيف الوادي في الجزء الممتد من عرقة حتى الضلع الجنوبي الدائري، وأن النخيل والمزارع والبساتين على ضفافه تزيد في جماله وتأهيله كمركز سياحي، حيث يزخر بالكثير من المقومات الترويحية

والتراثية، لقد كان هذا الوادي معلماً تاريخياً بشعابه ومغانيه، وكان له شأن وذكر وحضارة وعمران، وكان يسمى العرض، كما قال الشاعر:

ولما هبطنا العرض قال سراتنا علام إذا لم نحفظ العرض نزرع

وقال آخر:

ولست أرى عيشاً يطيب مع النوى ولكنه بالعرض كان يطيب

ولقد ذكر الشعراء وادي حنيفة كالفرزدق وجرير والأعشى وغيرهم.

وبهذه المناسبة ينبغي إبراز الأماكن الجغرافية والتعريف بها وفق منهج علمي مبوب دقيق، وتحديد مواقع أسماء الأماكن الجغرافية في بلادنا وجهاتها وأبعادها، ورسم الخرائط التي تساعد على ذلك، وإعداد معاجم جغرافية لأسماء الأماكن، وتوفير قاعدة معلومات جغرافية واسعة تشمل أسماء الأماكن الجغرافية في أنحاء بلادنا الواسعة مع أهمية الخرائط كوسيلة لضبط أسماء الأماكن القديمة.

رحلة إلى مكة المكرمة في سنة ١٣٧١هـ

ذهبت إلى مكة المكرمة عبر رحلة برية شاقة عبر الفيافي والمهامه والمفاوز والرمال وكان الطريق صعباً حيث لا طرق معبدة ولا استراحات على الطريق وما زالت تلك الأمكنة نقاطاً حية في الذاكرة وكانت المدة عشرة أيام ومررت بمعالم وصوى لم يعد الطريق يمر بها.

وفي صيف ملتهب وبعد رحلة في أحشاء الصحراء ومكابدة طرقها ووعورة السفر وعناء الترحال من مكان إلى مكان حيث انطلقنا من المجمعة مروراً بالوشم والسر والدوادمي والمويه وركبة وعشيرة، وكنت أقول لرفاق الرحلة جزاؤكم عند الله موفور وسعيكم لديه مشكور، ووصلنا مكة بعد سفر عشرة أيام وزالت حرارة الطبيعة أمام حرارة الإيمان وشعرت بالبهجة وأنا أدخل مكة المكرمة مهبط الوحي ورأيت المسجد الحرام بقبابه ومآذنه وشاهدت الكعبة رأي العين البقعة المطهرة أول بيت وضع للناس وكم أحسست بشعور عميق من السكينة ورأيت أفواجا من الناس يأتون من كل فج عميق يدعون الله بقلوب ملؤها الرجاء.

وبعد أداء مناسك العمرة ذهبت للتجول في أنحاء مكة المكرمة وفي كل بقعة من بقاعها أثر وتاريخ حيث غار حراء مهبط الوحي ودار الأرقم وغار ثور وغيرها من الأماكن التي درج على ترابها هداة البشرية ورموز البطولة والإيمان وستظل مكة المكرمة مناراً للأمة فقد انبثق منها النور ونزل من سمائها الفرقان لقد تتابع الوحي فيها ثلاث عشرة سنة وولد فيها النبي محمد ﷺ في بيت من بيوتها وكنت أقول ما أسعدني اليوم في مكة التي ظلت مقصد المؤمنين في حجهم من عهد إبراهيم يقصدها الحجاج فيرونها وادياً بين سلاسل جبال متصل بعضها ببعض ولقد رأيت سفوح هذه الجبال فقد عمرت بالمساكن كل هذه الذكريات تملأ النفس فخراً واعتزازاً.

وإن الحديث عن الحرمين الشريفين في عيون المبدعين والمثقفين كافة لا يضاهيه أي حديث لأنه ميدان شريف ثر العطاء.. وكيف لا يكون كذلك وأفئدة الناس تهوي إليهما من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم، فهو موضوع يتسم بالسعة وثراء المادة والشمول، يحتاج إلى دراسات عديدة تبرزه في صورة أكثر وضوحاً.

فما من أديب أو رحالة أو شاعر ومبدع إلا هو مشتاق إلى رؤية هذه البقاع، يسلط الضوء على جانب من تلك الجوانب الروحية والحضارية، ولذا نجد كمّا زاخرا بالأعمال الثقافية والأدبية من عرب وعجم كل راصد لرحلته وشوقه لهذه البقاع من حجاج وعمار وزوار يسألون الله من فضله.. ولكل وافد إلى هذه الديار خلفيته الثقافية التي ينطلق منها في الحديث عنها ويصف المشاهد وطرق الحج والمشاعر والعادات والتقاليد والتاريخ والجغرافيا من خلال أدب الرحلة وتصوير رؤيته لهذه البقاع الطاهرة.

والقارئ لآثار الرحالة والأدباء والشعراء والمبدعين يجد فيضا نفيسا زاخرا يبرز الحرمين الشريفين ومكة المكرمة والمدينة المنورة بما يثير كوامن النفس، وذلك مؤشر لعظمة المكان وروحانيته وعبقريته.

إن مكة المكرمة والمدينة المنورة تحتل في ذاكرة المبدعين أوسع المساحات.. وكيف لا تكون وهي منطلق الإسلام ومهبط الوحي ومهوى أفئدة المسلمين وزاخرة بأحداث غيرت وجه التاريخ، وستظل مادة حية للحديث والإبداع والنور، ولآثارها وربوعها على اختلافها حضور في الأدب والتاريخ قديما وحديثا، وكل من يستعرض التاريخ يدرك ويحس بدورها في الشعر والأدب.. يقول أحد الشعراء من أبناء مكة حسين عرب:

والمحاريب والمشاعر كون ناطق بالتقى وبالإيمان

وستظل أفئدة الناس تهوى إلى الحرمين الشريفين، وستظل رؤية الأدباء والرحالة والمبدعين لتلك البقاع الطاهرة تحتل المكانة الراقية في منارة المعارف الإلهية والرسالة الخالدة.

رحلة للمشاركة في ندوة أدب الحج في مكة المكرمة

تلقيت دعوة معالي وزير الحج الأستاذ السيد أمين مدني للمشاركة في الندوة الإسلامية الكبرى لموسم حج عام ١٤٢٢هـ وقد حضر للمشاركة في هذه الندوة جمع غفير من رجال العلم والأدب والتاريخ من مختلف أرجاء العالم الإسلامي ولا شك أن اهتمام وزارة الحج بإبراز الأنشطة الثقافية التي تشكل جزءاً مهماً من تاريخ الحج عمل حيوي فلقد أتاح لنا هذا اللقاء الذي يتضوع بهذا الجمع الميمون وتنعكس عليه هالة العلم والمعرفة حيث ضم اللقاء كوكبة من رجال الفكر ورواد الأدب وأساتذة التاريخ في الجامعات العربية والإسلامية على مائدة أدب الحج فأمتعونا بعلمهم وزاد تجاربهم وما أسهموا به من دور في هذا المجال فهذا اللقاء كان فرصة للحوار والنقاش والمداخلات التحليلية الذي هو أساس مثل هذه اللقاءات العلمية المبنية على الدراسات الفكرية ولقد أحسنت الوزارة صنعاً بهذا التوجه الحضاري والإدراك الواعي لجسامة الدور الملقى على عاتقها في دراسة تاريخ وتراث وأدب الرحلة إلى الحج برؤية تاريخية والخروج منها بما نتطلع إليه من فائدة ونتائج جديدة تسهم في إثراء الحياة العلمية وتكون انطلاقة وإضاءة جديدة لدعم البحث العلمي والتاريخي، وقد كانت ندوة مفعمة بالمعرفة وعامرة بالحوار العلمي ومشرقة بالتحليلات والمداخلات حول أدب الحج في المغرب العربي والمشرق العربي وظروف النقل البحري والحجر الصحي في أدب الحج المغربي من خلال القرن التاسع عشر ومشاكل الحجاج، كما يرى الرحالة والحج في الأدب التركي وأدب الحج في غرب أفريقيا وفي اللغة السواحلية وأدب الحج في القارة الهندية وجنوب آسيا والصين واليابان وأدب الحج في كتب التراث التاريخي والدور الثقافي للحج والحج وكتاباته من خلال رؤية مكية إلى غير ذلك من الموضوعات والأبحاث والدراسات.

لقد كان اللقاء يشبه أسواق العرب القديمة فأعاد إلى الذاكرة كيف كان أدب الحج وكيف كانت اللقاءات العلمية والمجالس الأدبية والمناقشات الفقهية حيث استأثر أدب الحج باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم وعني به أعلام بارزون.

ولقد ألقيت هذه القصيدة تحية لندوة أدب الرحلة إلى الحج خلال حفل افتتاح الندوة.

ندوة الحج سلاما مفعما ... يبهج السمع ونبراس اليقين
ملتقى الفكر فما أروعه ... خير ذكر لتراث السابقين
أدب الرحلة كم خلّده ... من رجال عرفوا طول السنين
أخصبو الفصحى بما قد دونوا ... من بديع القول والكنز الدفين
شهدوا الحج وأحيوا ذكره ... أدبا ضاء على فكر النابهين
يممّوا البيت وساروا نحوه ... كلهم شوق وحب وحنين
قادة الفكر تجلى عزمكم ... سامي الطرح وبالفكر الرصين
شهد التاريخ في ندوتكم ... موقفاً أحيا تراث السالفين
رحلات بهرت كل الورى ... فابن بطوطة شيخ الراحلين
وكذاك ابن جبير رائع ... سطر الرحلة في سفر مبين
شهد الحج وأثرى ذكره ... بجزيل الوصف والقول الثمين
وكثير غيرهم قد ذكروا ... رحلة الحج بأسلوب قمين
فتبدت آية للقارئين ... وتجلت بالسنا في كل حين
جعل الله لقانا زاهيا ... برضى الرحمن رب العالمين
حفظ الله بلادي انها ... موئل الفصحى ومهوى المسلمين

توسعة الحرمين عنوان وضاء ومعالم خالدة

في يوم الاثنين الموافق ١٤٢٣/٩/٣هـ قمت بزيارة لمكة المكرمة وتأدية العمرة وقد أقلعت بنا الطائرة من الرياض في رحلة استمرت ساعة ونصف ثم هبطنا في مطار جدة ومنها إلى مكة المكرمة.

نحمد الله الذي كرم هذه البلاد بخدمة الحرمين الشريفين وخدمة ضيوف الرحمن وتبذل ما في وسعها من أجل راحة الحجيج والمعتمرين وتوفير كافة التسهيلات وأعطت رعاية حجاج بيت الله الحرام أولوية قصوى لينعموا بهذه المشاريع الكبيرة والمنجزات العملاقة التي تحققت في توسعة الحرمين الشريفين وتطوير مرافقها وخدماتها لمشروع جسر الجمرات وأبراج منى وغيرها كتوسعة الجهة الشمالية للمسجد الحرام وتوسعة الجهة الشرقية للمسجد النبوي الشريف وغيرها من مشروعات مستقبلية حتى يجد الحجاج والمعتمرون والزوار متعة العبادة.

ولا غرو فهذه البلاد موئل مقدسات الإسلام ومتنزل الوحي ومهد الرسالة وتفخر هذه البلاد بتوسعة الحرمين الشريفين وتزويدهما بمختلف أسباب الراحة ليؤدي ضيوف الرحمن مناسك حجهم في يسر وسهولة وأمن وطمأنينة ولا ريب أن توسعة الحرمين الشريفين مفخرة لكل مسلم وعمل صالح وهو مشروع عملاق وإعمار عظيم وصرح سامق وقيمة دينية لدى المسلمين ولا غرو فهذه البلاد هي قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، فهذا الإنجاز العظيم نحو توسيع الحرمين الشريفين اللذين يتوافد عليهما مئات الزوار وآلاف الحجاج وملايين الناس من كل أرجاء العالم الإسلامي سيظل التاريخ يذكره باستمرار بل إشراقة في جبين التاريخ المعاصر، وستظل هذه التوسعة مفخرة للملايين ومقصداً للمسلمين حيث تهون المصاعب والعقبات ولم يعودوا يجدون مشقة في مجيئهم إلى هذه البقاع المقدسة للعمرة والزيارة والحج. فروعة

التوسعة وجمالها سوف تستوعب الملايين التي تشرئب أعناقها وتتطلع بشوق عارم إلى الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث يسر الله لهم السبيل وذللت الصعاب وممارسة الشعائر الدينية في يسر وأمن وأمان وراحة، إن هذا العمل المبارك سيظل خالداً وحياً وراسخاً بالعطاء السخي من قادة هذه البلاد ووفاء منهم على العمل والعطاء وخدمة الأماكن المقدسة، وإن هذه التوسعة الحديثة العملاقة للحرمين الشريفين لا يماثلها أو يضاهيها في سموها ومكانتها وإنجازها عمل آخر فهي توسعة رائدة كماً وكيفاً وجمالاً وإبداعاً وإتقاناً وسوف يسهل ذلك على الحاج والزائر أمور عبادته وينسى التعب والمشقة والجهد والعناء وما كان يتحدث به الرحالة والركبان قديماً عن صعوبة الوصول إلى الأماكن المقدسة كما ذكر ذلك ابن بطوطة وابن جبير والمسعودي والهمداني والبكري والعبدري وغيرهم من المؤرخين والرحالة حفظ الله بلاد الحرمين وأسبغ عليها الأمن والاستقرار والازدهار.

في جامعة أم القرى

لقد سعدت بدعوة كريمة من معالي مدير جامعة أم القرى الأستاذ الدكتور ناصر بن عبدالله الصالح، تتضمن قيام الجامعة بتكريم رواد العلم والمعرفة من علماء مكة وأدبائها وأعيانها ووجهائها، وذلك إيماناً منها بما قدمه هؤلاء النخبة من العطاءات العلمية وبما تقلدوه من مناصب ومسؤوليات جسام في سبيل المشاركة في خدمة هذا البلد المعطاء.

وقد كانت فرصة طيبة لي الحضور والمشاركة في هذا الحفل العلمي وفي رحاب جامعة أم القرى، هذا الاسم التاريخي المجيد الموغل في الأصالة والعمق والبعد التاريخي والذي يتضوع بعطر النبوة ومنازل الوحي ومنطلق الدعوة إلى التوحيد.. وبعد الوصول إلى مكة وأداء مناسك العمرة وفي مساء يوم الأربعاء الموافق ٢١/١٠/١٤٢٦هـ توجهنا نحو قاعة الاحتفالات بمقر الجامعة بحي العزيزية بمكة المكرمة، وقد حضر الحفل حشد كبير من العلماء والأدباء وأساتذة الجامعة وطلابها.

وكان الحفل لتكريم سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله، وبعد افتتاح الحفل من الدكتور محمد العقلاء، كانت البداية تحية من مدير الندوة الأستاذ الأديب حمد القاضي، حيث قدم معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى الذي تحدث عن والده واستعرض حياته العلمية والعملية ونشأته وسيرته العلمية والعملية ونماذج من رسائله وفتاواه وأقوال معاصريه فيه وأعماله ونوادره، وختم حديثه بالبكاء عليه فبكى الحاضرون معه، ثم تحدث الشيخ عبدالعزيز المسند عن ذكرياته مع الشيخ خلال عمله في بريدة وجهوده وتلامذته ومؤلفاته ودروسه وانصرافه للتعليم والتدريس وقضاء حوائج الناس ثم بدأت المداخلات، حيث تحدث الدكتور

عبدالوهاب أبو سليمان عن ذكرياته مع الشيخ ودقة فقهه وعمق معلوماته، وأورد بعض الرسائل العلمية التي ناقشها في الجامعة، كما كانت فرصة أن أتحدث في هذا الحفل عن الشيخ خلال عمله قاضياً في مدينة المجمعة في الستينيات وحلقته العلمية في مسجد (ناصر) في المجمعة وأوردت ذكريات بعض تلاميذه عنه خلال دروسه بعد صلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء في الفقه والتوحيد والنحو ومصطلح الحديث وطرقه في التدريس وحرصه على إفادة طلابه وشحذ هممهم وغرس روح التنافس العلمي بينهم، وقد تخرج على يديه من أبناء المجمعة علماء أعلام، واستعرضت برنامجيه في الإذاعة (نور على الدرب) و(اسألوا أهل الذكر)، حيث كان يجيب فيه عن أسئلة السائلين الفقهية والاجتماعية، حيث كان يرد على السائل ذاكراً اسمه واسم والده وجده وبلدته وسؤاله كاملاً قبل أن يبدأ بالفتوى، وكان الكثير يندهش من قدرته واستيعابه لذلك.. وفي الختام لجامعة أم القرى شكري الصادق ودعواتي الخالصة على اهتمامها بتكريم العلم والعلماء تقديراً لعطاءاتهم العلمية والمعرفية .

في رحاب الكعبة المشرفة

في يوم الأربعاء الموافق ١٤٢٩/١/١٤هـ حزمت حقيبتي وحملتها متوجهاً إلى مطار الملك خالد وامتطيت الطائرة إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة.

والحمد لله الذي جعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً.. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦ – ٩٧]. هو أول بيت وضع للناس للطاعات والعبادات والخيرات.. مباركاً وهدى.

ولقد تشرفت صبيحة يوم الخميس الموافق ١٤٢٩/٢/١٥هـ بالحضور والصلاة في المسجدالحرام، ثم أتيحت لي فرصة دخول الكعبة المشرفة، حيث قام صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة بغسل الكعبة من الداخل بماء زمزم المخلوط بماء الورد، والذي قامت الرئاسة العامة للمسجد الحرام بتوفيره وتحضيره، وشارك سموه عدد من الأمراء والعلماء ومعالي الرئيس العام الشيخ صالح الحصين ومعالي نائبه الدكتور محمد بن ناصر الخزيم وعدد من أعضاء السلك الديبلوماسي الإسلامي وسدنة بيت الله الحرام.. وتجسد هذه المناسبة العظيمة مدى اهتمام ولاة الأمر في هذه البلاد وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين – حفظهما الله – بالبيت الحرام والعناية به والقيام على صيانته والقيام على تنظيفه وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود، وإظهاره بالمظهر الذي يليق بمكانته وقدسيته.

وعندما صعدت للكعبة ودخلتها، صليت في رحابها ركعتين في جو روحاني عظيم، يسوده الهدوء والخشوع والسكينة والإيمان، وتذكرت تاريخ أول بيت وضع للناس، وأسماء الكعبة، وبناء الكعبة منذ آدم عليه السلام، وبناء

إبراهيم عليه السلام، وبناء العمالقة وجرهم وقصي بن كلاب وقريش وعبدالله بن الزبير، وحجر إسماعيل وكسوة الكعبة قبل الإسلام، وكسوتها في صدر الإسلام، وكسوتها في عهد دولة بني أمية، وتاريخ ذلك من بداية الدولة العباسية حتى الدولة السعودية.

واستعرضت في تلك اللحظات – وأنا في داخل الكعبة – سدنة الكعبة وخدمتها وأغوات المسجد الحرام وهدايا الكعبة والسيول التي كان لها أثر عليها.. وتذكرت أقوال المفسرين كابن جرير والقرطبي وابن كثير والفخر الرازي والذهبي والطبري وابن المنذر وغيرهم .. وكذا الرحالة الذين كتبوا عنها من أمثال ابن جبير وابن بطوطة والنابلسي والجزيري والعياشي وغيرهم.. وكذا الشعراء والعلماء والأدباء والمؤلفات الكثيرة التي كتبت عنها مثل كتاب "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" للأزرقي، وكتاب الفاكهي "أخبار مكة في قديم الزمان وحديثه"، وكتاب ابن فهد "اتحاف الورى بأخبار أم القرى"، وغير ذلك مما لا يتسع له المقام.. حيث كنت في تلك اللحظات في داخل الكعبة، اتذكر التاريخ واستعرض ما كتب عن الكعبة المشرفة.

إن مكة المكرمة بما لها من قدسية، تمتلئ بعمق تاريخ عبق، لا ينقطع رفده، كما أنها ملهمة الشعراء، الذين أبدعوا القصائد العصماء في كل ناحية.

وبعد.. فما أكثر ما كتب عن الكعبة المشرفة خاصة، حيث إن الكثير من العلماء والمؤرخين والرحالة قد خدموا هذا الجانب خدمة عظيمة، وسجلوا كل ما يتصل بها منذ بنائها وحتى عصرنا الحاضر.. فالشكر لرئاسة المسجد الحرام والمسجد النبوي على ما يبذلونه من جهود عظيمة ونشاط ومتابعة متواصلة لخدمة بيت الله الحرام وإظهاره بالمظهر الذي يليق بمكانته وقدسيته.. ووفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

ولقد قلت هذه القصيدة بهذه المناسبة:

(مكة) النور جئت هيمان حالم ... جئت أسعى لبيت رب دائم

موطن الوحي والسلام أمانا ... جئت أشدو بحبك المتلاطم

أنت في الروح أنت في القلب تهدى ... وأنا بالهدى وبالحق قائم

فيك جاء الوحي العظيم وجاءت ... بشريات له بطه الخاتم

لك عند الله العلي مقام ... كل من في الورى به اليوم عالم

يا ملاذ الإسلام يا مهبط القرآن ... يا موئل الهدى أنا هائم

أنا في نشوة الحبور غني ... أنا في لجة السعادة عائم

قبس للخير أنت فينا ومهد الـ ... دين والوحي والهدى المتقادم

أيام في طيبة الطيبة

الرحلات من أوسع أبواب المعرفة الإنسانية والاستمتاع بالمشاهدة والتاريخ والطبيعة والآثار والحياة، ولقد فطر الله الإنسان على البحث المستمر عن الحقيقة ومعرفة ما تزخر به الحياة وحب المعرفة والاستطلاع، والرحلات فيها فوائد وتجديد نشاط، ومما يزيد المعارف ويثري الثقافة ولقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ وما زالت الرحلات إلى يومنا هذا مصدراً للتعرف على أحوال الأمم وثقافات الشعوب، إن السياحة فن وثقافة ووعي وسلوك بحيث يتمكن السائح من إثراء فكره وروحه من المعرفة والثقافة وتجارب الأمم وثقافات الشعوب وتاريخها، ولقد قيل:

سح في بلادك إن أردت تعلماً ... إن السياحة في البلاد تفيد

ويسرني أن أكتب عن رحلة قمت بها إلى المدينة المنورة في ١٣٩٥/٤/٥هـ، حيث فارقنا مطار الملك خالد الدولي على متن إحدى الطائرات السعودية التي كانت تسير بنا بين شعاب نجد وأوديته وجباله وقممه الشامخة ورياضه الجميلة مردداً قول الشاعر أبي الطيب المتنبي:

إذا مضى علم منها بدأ علم ... وإن مضى علم منه بدا علم

ولكم توحي تلك المناظر بتاريخ عريق وما تزخر به من ذكريات ومجد وخطوب وتاريخ خالد، وخلال رحلة الطيران كنت أتذكر قصائد الشعراء وما قالوه في تلك المرابع التي تمر بها حيث يقول أحد الشعراء:

سقى الله نجدا من ربيع وصيف ... وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

وقال الآخر:

ألا ياصبا نجد متى هجت نجد ... لقد زادني مسراك وجدا على وجد

وفي أفياء القصيد الوارفة الظلال تذكرت قول القائل:

تمتـــع مـــن ذرى هـــضبات نجـــد فإنـــك موشـــك أن لا تراهـــا

ثم لاحت لنا المدينة المنورة دار الهجرة ومهبط الوحي ومنطلق الرسالة طيبة الطيبة، وكلما زرتها تأسرني مشاعر غامرة من الحب والاحتفاء وهي التي أشرقت بنور الدعوة وازدانت بالمسجد النبوي الذي تهفوا إليه قلوب المسلمين هذا المسجد هو المنطلق والشعلة المضيئة، وتاريخ المدينة حافل بالأمجاد والفضائل فهي تحتوي على مساجد أثرية وتاريخية وشواهد عظيمة كمسجد قباء ومسجد القبلتين والبقيع وشهداء أحد وموقعها التاريخية وغيرها، وفي كل مرة أزورها أحرص على زيارة المسجد النبوي الشريف ثم زيارة معالمها ومكتباتها مردداً دعاء رسول الله ﷺ: {اللهم حبب إلينا المدينة} .

ووصلنا إلى المدينة المنورة مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام طيبة الطيبة كما يطيب لأهلها مناداتها إذ هم معروفون بالطيبة ويفخرون بذلك وكيف لا وطيبة الطيبة هي راعية الدعوة الإسلامية التي أشرقت بنورها في أرجاء العالم ولقد غمرتنا بأنوارها وضيائها ومسجدها الذي تهفو إليه قلوب المسلمين حيث كان هذا المسجد هو المنطلق والشعلة المضيئة والمنبر الذي علم البشرية الكثير من القيم الكريمة والمثل السامية وتذكرت حسان بن ثابت ﷺ وهو ينشد الشعر ويمدح به النبي ﷺ وكعب بن زهير وهو يلقي قصيدته ويطرب الأنصار والمهاجرين لأبياته المعروفة لقوله:

مـن سره كـرم الحيـاة فـلا يـزل في مقنـب مـن صـالح الأنـصار

البـــاذلين نفوســـهم لنبـــيهم يـــوم الهيـــاج وســـطوة الجبـــار

يتطهـــرون كأنـــه نـــسك لهـــم بـدماء مـن علقـوا مـن الكفـار

كما تذكرت كعب بن زهير يأتي إلى الرسول ﷺ ويقف أمامه ويلقي قصيدته الشهيرة بانت سعاد ويعرف ﷺ أن هذا كعب بن زهير فيستمع إلى قصيدته ثم يمنحه بردته.

وتذكرت الخنساء وهي تقول قصيدة في مسجد النبي ﷺ ويستمع إليها ويقول:

إيه يا خناس، إلى غير ذلك من مواقف وذكريات تاريخية مجيدة ومعالم وعندما هاجر إليها رسول الله ﷺ غير اسمها من يثرب إلى المدينة حيث عاشت سنوات من الأمن والاستقرار والتطور الاقتصادي والاجتماعي والعمراني وكانت عاصمة للدولة الإسلامية الناشئة ومركزاً للتوجيهات النبوية للمجتمع المسلم. حيث أحبها رسول الله ﷺ وهي أحب البقاع إلى الله.

يا طيبة القدر الميمون دمت لنا ببسمة الدهر والآمال والنعم

ما بين طيبة الطيبة وخيبر التاريخ

لقد تكررت رحلاتي إلى هذه البلاد المباركة وكثيراً ما سعدت بزيارة المدينة المنورة دار الهجرة ومهبط الوحي ومنطلق الرسالة طيبة الطيبة حيث تأسرني مشاعر غامرة من الحب والاحتفاء وهي التي أشرقت بنور الدعوة وازدانت بالمسجد النبوي الذي تهفو إليه قلوب المسلمين، هذا المسجد هو المنطلق والشعلة المضيئة وتاريخ المدينة حافل بالأمجاد والفضائل، فهي تحتوي على مساجد أثرية وتاريخية وشواهد عظيمة كمسجد قباء والبقيع وشهداء أحد ومسجد القبلتين وغيرها، في كل مرة أزورها أحرص على زيارة المسجد النبوي الشريف ثم زيارة معالمها ومكتباتها مردداً قول الشاعر:

شوقتنا الآثار للأعيان وأثارت كوامن الأشجان

وقول الآخر:

أقول لصحبي عند رؤية طيبة قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فكنت أرسم صورة في الذاكرة للمدينة في ماضيها وحاضرها ووصلنا إلى المدينة المنورة مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام – طيبة الطيبة في ١٧ – ٤ – ١٤٢٠هـ كما يطيب لأهلها مناداتها إذ هم معروفون بالطيبة ويفخرون بذلك وكيف لا وطيبة الطيبة هي راعية الدعوة الإسلامية التي أشرقت بنورها في أرجاء العالم ولقد غمرتنا بأنوارها وضيائها ومسجدها الذي تهفو إليه قلوب المسلمين حيث كان هذا المسجد هو المنطلق والشعلة المضيئة والمنبر الذي علم البشرية الكثير من القيم الكريمة والمثل السامية وخلال الطريق إلى الفندق كنت أحاول استعادة ذكريات المدينة المنورة وتاريخها الحضاري المجيد ومررنا بجبل أحد الشهير في التاريخ الإسلامي وتذكرت مواقعها التاريخية التي ارتبطت بأحداث مهمة.

ووصلنا الفندق وبعد استراحة توجهت صوب مسجد رسول الله ﷺ

والسلام على رسول الله وصاحبيه، وفي صباح يوم الأربعاء قمت بزيارة لمعالم المدينة المنورة وآثارها ومساجدها ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف والإطلاع على محتوياته ثم زيارة مكتبة عارف حكمت ومكتبة المدينة المنورة وبعض المكتبات الموقوفة ولقد تم أخيراً جمعها في مكتبة واحدة حملت اسم المؤسس الملك عبدالعزيز – رحمه الله – وقد أدى جمعها في مكتبة واحدة إلى تهيئة جو البحث العلمي والاستفادة من مقتنياتها وأمهات الكتب فيها في شتى فروع العلم والمعرفة الإنسانية.

ثم قمت بزيارة عدد من المساجد والمعالم التاريخية، وبعد قضاء بضعة أيام في المدينة المنورة توجهت إلى مدينة خيبر التاريخية مع بعض الأصدقاء للتعرف على قيمتها التاريخية والأثرية في جو عابق بالمحبة والإشراق ومليء بالفرح والنشاط وانطلقت السيارة من المدينة المنورة إلى خيبر عن طريق تبوك وكان الطريق ١٨٠ كيلاً وكان الجو جميلاً ونشاهد الجبال والقرى والوديان وواحات النخيل ووسط أجواء من الخضرة والدعابة والمساجلات الشعرية والقصص والروايات التاريخية والمرح وشرح المواقع الأثرية التي نمر بها مردداً قول القائل:

أرحل وشاهد بها ما قد سمعت به شتان عندي بين الخبر والخبر

وبعد مضي ساعتين تلوح لنا مدينة خيبر – ذات التاريخ المجيد وتستعيد النفس قصصاً شتى عنها ولما رأيت نخيلها تذكرت قول عائشة رضي الله عنها لما فتحت خيبر: الآن نشبع من التمر – وتعتبر خيبر تاريخياً من أهم البلدان حيث وقعت فيها غزوة خيبر المشهورة في السنة السابعة من الهجرة النبوية وكانت نقطة تحول بعد فتحها حيث إن الله سبحانه وتعالى وعد رسوله بها بعد الحديبية بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ [سورة الفتح: ٢٠]، يعني الحديبية وبالمغانم الكثيرة فتح خيبر وقد كانت تسمى (ريف الحجاز) لخصوبة أرضها وكثرة مياهها ومزارعها التي تنتج كافة أنواع

الحبوب والخضروات إضافة إلى شهرتها بزراعة النخيل وأصبحت خيبر بعد فتحها ومنذ ذلك التاريخ بلدة إسلامية ونظراً لأهميتها الاقتصادية فقد كانت مطمعاً للدول المتعاقبة على حكم الحجاز والمناطق المجاورة حتى قيض الله موحد هذا الكيان الكبير الملك عبدالعزيز – رحمه الله – وكانت تابعة لإمارة حائل في عام ١٣٤٢هـ ثم بعد ذلك ألحقت بإمارة منطقة المدينة المنورة ١٣٩١هـ ولقد تذكرت التاريخ وأقوال الشعراء وأنا أتجول في رحاب خيبر التاريخ ومن ذلك قول حسان بن ثابت ﷺ:

وإنا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا

وبعد جولة على المعالم التاريخية والأماكن السياحية حيث يوجد في خيبر العديد من المناطق الأثرية التي تشمل الحصون والسدود والكهوف والمنازل القديمة يرجع بعضها إلى ما قبل الإسلام، ومن الأماكن التاريخية التي قمنا بزيارتها الصهباء قصير النبي ﷺ تقع أسفل جبل عطوة بنيت في الموقع الذي توقف فيه جيش المسلمين أول وصوله إلى خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ وعددهم سبعة عشر صحابياً ووقفنا بعد ذلك على عدد من الحصون كحصن ناعم وحصن البازة وحصن القموص والكتيبة وحصن الوطيح وحصن السلالم وحصن مرحب فذكرت قوله:

قد علمت خيبر أنني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فنزل إليه عامر بن الأكوع رحمه الله وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مقامر

كما قمنا بزيارة لمناطق عيون المياه الجارية حيث تشتهر خيبر بعيون المياه الجارية التي تسقى منها مزارع النخيل حيث يوجد حالياً أكثر من عشرين عيناً جارية، وذهبنا بعد ذلك للمناطق التي عسكر فيها جيش المسلمين أثناء الغزوة وكانوا ينطلقون منها إلى أرض المعارك وبعد زيارة لمنطقة الرجيع والشق والمدينة القديمة رجعنا إلى المركز التاريخي وتناول وجبة الغداء فيه.

وفي المساء وبعد قضاء يوم حافل في رحاب خيبر التاريخ وزيارة الأماكن التاريخية والأثرية وما حظيت به من عناية ورعاية كسائر مدن وقرى بلادنا الزاهرة وبعد الاحتفاء بهذه الرحلة التي كانت حافلة بالمتعة الفكرية ومليئة بالفائدة التاريخية كانت العودة في جو مفعم بالمتعة والفائدة والمرح والجو الجميل والهواء العليل وتشق الحافلة بنا الطريق عائدة إلى المدينة المنورة حيث نشاهد منظر شمس الغروب وتلك الرياض الفيحاء قائلاً:

فلست تبصر إلا واكفا خضلا أو يانعاً خضرا أو طائرا غردا

ولكم ابتهجت بما تشهده المدينة ومحافظاتها من مشروعات تنموية وتطويرية، لقد كانت هذه الرحلة مفيدة لمعرفة المزيد من التاريخ والتراث والتقدم الحضاري في بلادنا وبعد بضعة أيام ممتعة حافلة بالفائدة والمتعة في رحاب مدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام غادرناها حاملين لها أجمل الذكريات وشتى الانطباعات. وصدق الشاعر حيث يقول:

أحب أرض إلى الرحمن أسكنها أغلى نبي فيا أرض الهدى افتخري

حسن المدينة مطبوع بفطرته وغيره صبغة الألوان والصور

في رحاب المدينة النبوية وزيارة لمجمع الملك فهد

كلما سعدت بزيارة المدينة المنورة دار الهجرة ومهبط الوحي ومنطلق الجيوش الإسلامية الفاتحة، طيبة الطيبة تأسرني مشاعر غامرة من الحب والاحتفاء وهي التي أشرقت بنور الدعوة وازدانت بالمسجد النبوي الذي تهفو إليه قلوب المسلمين حيث كانوا، هذا المسجد هو المنطلق والشعلة المضيئة، وتاريخ المدينة حافل بالأمجاد والفضائل، فهي تحتوي على مساجد أثرية وتاريخية شواهد عظيمة تاريخها كمسجد قباء ومسجد القبلتين وغيرهما، وفي كل مرة أزورها أحرص على زيارة معالمها التاريخية والأدبية ومكتباتها العامرة .

ولقد أوردت العديد من الكتب والدراسات الكثير من المميزات والفضائل التي تميزت بها هذه المدينة المباركة والتي تشهد اليوم نمواً وازدهاراً في نهضتها الحضارية، وفي هذه المدينة يقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، هذا الصرح الشامخ الكبير الذي سد حاجة ماسة عند المسلمين لمصاحف سليمة في رسمها وضبطها، وهو عمل مبارك سيبقى معلماً عظيماً لخدمة كتاب الله.

أقيم هذا الصرح الشامخ لخدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ استشعاراً من المملكة العربية السعودية بدورها القيادي في خدمة الإسلام والمسلمين وخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في ١٤١٤/٢/٦هـ بعد اكتمال وسائله وأدواته، ومن أهداف ما يلي:

إصدار طبعات دقيقة وسليمة الرسم والضبط للمصحف الشريف، معاني القرآن الكريم إلى مختلف اللغات التي يتحدث بها في أنحاء العالم، وتسجيل القرآن الكريم بأصوات كبار القراء، وخدمة السنة النبوية بالتعاون مع الجامعة الإسلامية من خلال مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، والوفاء باحتياجات الحرمين الشريفين والمساجد والعالم الإسلامي من المصاحف،

وإجراء البحوث والدراسات المتعلقة بعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وتصل الطاقة الإنتاجية للمجمع إلى ما يربو على عشرة ملايين نسخة من مختلف الإصدارات سنوياً للوردية الواحدة، ويمكن تشغيله عند الحاجة ثلاث ورديات لينتج ثلاثين مليون نسخة سنوياً.

ووصل عدد الإصدارات التي أنتجها المجمع إلى أكثر من ستين إصداراً موزعة بين مصاحف كاملة وأجزاء وترجمات وتسجيلات وكتب للسنة والسيرة النبوية وغيرها، وللمجمع مخطوطتان خاصتان به بروايتين حفص عن عاصم وورش عن نافع كتبهما خطاط المجمع وروجعتا من قبل لجنة علمية بالمجمع، كما بدأ المجمع في كتابة مخطوطتين آخريين خاصتين به وبروايتي الدوري وقالون.

وتقدر مساحة المجمع بمائتين وخمسين ألف متر مربع، ويضم مسجداً ومباني للإدارة والصيانة، والمطبعة، والمستودعات، والنقل، والتسويق، والسكن، والترفيه، ومستوصفين، والمكتبة والمطاعم وغيرها.

وتجاوز إنتاج المجمع ١٦٨ مليون نسخة، وفيما يخص إصداراته التي تم توزيعها داخلياً وخارجياً فقد تجاوزت المائة مليون نسخة.

هذا ويستخدم المجمع في كافة مراحل التحضير والمونتاج والتجليد أفضل المواد المتاحة وذات المواصفات المتميزة كما تستخدم الحاسبات الآلية في مختلف أعماله.

إن هذا المجمع أكبر صرح في العالم لخدمة كتاب الله وقد تم توزيع مائة مليون نسخة على المسلمين في أنحاء العالم وأكثر من ٢٥ ترجمة لمعاني القرآن الكريم وأبحاث مستمرة لخدمة الكتاب والسنة، ولقد شاهدت ما يملأ النفس فخراً واعتزازاً في هذا المجمع وأجهزة التقنية بكل معطياتها بحيث يؤدي هذا المجمع واجباته لتحقيق أهدافه الكريمة وغاياته السامية النبيلة.

في رحاب المدينة المنورة

أقام النادي الأدبي في المدينة المنورة حفل استقبال وتكريم لأعضاء الجمعية العلمية التاريخية السعودية، فنظمت هذه الأبيات وألقيتها في ذلك الحفل الثقافي في النادي تحية تتأرج بزكي الشذا نحو طيبة الطيبة.

يا طيبة البلد الكريم تحية ... من زائر يهوى ثراك ويعشق
هدي النبوة في سماها ماثل ... يعلو وفوق جبالها يتألق
مهوى الأحبة والمآثر كلها ... تشدو وأصوات المفاخر تصدق
شاقتني أمجاد المعالم تزدهي ... بجلالها والنور فيها ينطق
فلك المحبة والمهابة والسنا ... ولك الهدى دوماً بأفقك يخفق
يا مشرق النور الذي ضاءت له ... كل البلاد ومغرب أو مشرق
كم عالم أسدى المعارف رافعاً ... صوتاً كأصداء الأذان يحلق
أبلى فأحسن في البلاء جهاده ... وهجاً يشع ونوره لا يخلق
تالله ما أنقى ثراك وقد غدا ... كضياء وجهك إذ يلوح ويشرق
في كل ركن شاهد بمآثر ... غرر تتاهى بالروائع مونق
ما زرتها إلا سعدت بقربها ... ومتى رحلت فإنني أتشوق
وتحية للوفد ممن قد أتى ... بمحبة ومودة تتألق
حييت يا نادي المعارف والعلا ... فلكم نهضت بكل ذكر يسمق
تعتز بالفكر السديد وترتقي ... نحو السهى وبحكمة تتحقق
فلكم تحياتي وصدق مشاعري ... بل كلنا لك بالمحبة ينطق

في الجامعة الإسلامية

بدعوة كريمة من معالي مدير الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة امتطيت الطائرة من مطار الرياض في طريقها إلى المدينة المنورة وبعد نحو ساعة كانت الطائرة تهبط بمطار المدينة المنورة وفي اليوم الثاني توجهت إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وهي جامعة عريقة حظيت كغيرها من الجامعات السعودية باهتمام بالغ ودعم مستمر من قبل حكومتنا الرشيدة، وأصبح خريجوها منتشرين في جميع أرجاء العالم، حيث تضم بين جنباتها مائة وستين جنسية، ولقد سعدت بالحضور والمشاركة في المؤتمر الدولي الثالث للأوقاف تحت عنوان (الوقف الإسلامي – اقتصاد وإدارة وبناء وحضارة) والذي رعاه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد المعظم، وافتتحه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن ماجد أمير منطقة المدينة المنورة والذي نظمته الجامعة بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف وذلك خلال المدة من ١٧ – ١٩ محرم ١٤٣١هـ.

إن انعقاد المؤتمر بالمدينة عودة بالوقف إلى جذوره الأولى وموطنه الأصلي، ولقد جرى مناقشة ٦٧ بحثاً خلال سبع جلسات، ولقد جاءت توصيات المؤتمر قوية في التأكيد على أهمية إصلاح الأوقاف واقتراح آليات واضحة لهذا الإصلاح واعتبار الوقف قطاعاً ثالثاً موازياً للقطاعين العام والخاص والسماح للشركات التجارية والاستثمارية بإنشاء مشروعات وقفية خيرية من فائض احتياطاتها وإدارة المشروعات الوقفية على أسس تجارية وإقامة مشروعات وقفية لخدمات إنسانية كبيرة مثل مصحات علاج الأورام وغسيل الكلى والإدمان وغيرها وإقامة صناديق وقفية، حيث أصبح الوقف دعامة أساسية من دعائم بناء المجتمع، حقيقة لقد كانت التوصيات إيجابية وينبغي تفعيل دور الوقف الإسلامي والإفادة من التجارب الوقفية الناجحة في بعض الأقطار الإسلامية.

لقد حرصت خلال المؤتمر على القيام بزيارة لمرافق الجامعة ومكتبتها وأقسامها، فرأيت ما يثلج الصدر من نشاط فهذه الجامعة تستقطب طلاب العلم والمعرفة من أنحاء العالم ولذا استحقت أن يطلق عليها الجامعة التي لا تغيب عنها الشمس كما أحيي مديرها الدكتور محمد العقلا على ما قدمته الجامعة عبر مؤتمراتها العلمية وندواتها الثقافية من إسهام في إثراء الفكر الإسلامي وتصحيح المفاهيم ومعالجة قضايا الأمة الإسلامية وتخريج أجيال مؤهلة، وخلال العام الماضي استضافت الجامعة معالي الدكتور عبدالله الربيعة حيث تحدث لأساتذة الجامعة وطلابها وضيوفها عن تجربته في فصل التوائم وذلك في محاضرة علمية بعنوان: (مشاهد مؤثرة)، ثم استضافت معالي وزير المالية السعودية للدول والشعوب الإسلامية، وكذلك سمو وزير التربية والتعليم وغيرهم.

وخلال هذا العام ستنظم مؤتمراً دولياً عن الإرهاب وآخر عن جهود المملكة في خدمة القضايا الإسلامية.

تلك مهمة الجامعة ورسالتها في المجتمع، وقد تحقق ولله الحمد لهذه الجامعة المباركة وغيرها من الجامعات في بلادنا ما تصبو إليه من تطلعات وآمال وأن تكون منارة علم وهدى، فتحية واجبة للجامعة الإسلامية ولمعالي مديرها، ونسأل الله أن يوفق جميع جامعاتنا إلى المزيد من التقدم والازدهار ونشر دعوة الحق والخير فهذه المؤتمرات كبيرة بموضوعاتها المتشعبة وبتنوع بحوثها وأوراق العمل فيها وأن يديم على بلادنا الغالية نعمة الأمن والاستقرار والازدهار .

رحلة إلى ينبع

بدعوة كريمة من الصديق الأستاذ محمد العمر رئيس الغرفة التجارية في ينبع توجهت مع مجموعة من الأصدقاء منهم ابن ينبع ومؤرخها الأستاذ عبدالكريم محمود الخطيب وكنت قد سعدت بزيارة ينبع في عام ١٤٠٨هـ بصحبة معالي وزير الزراعة والمياه الدكتور عبدالرحمن آل الشيخ خلال حفل افتتاح محطة التحلية وتمضي السنوات سراعاً بين زيارتي الأولى وهذه الزيارة يوم ١٤١٤/٤/١٢هـ وكنت طوال الرحلة نتجاذب أطراف الحديث عن ينبع ماضياً وحاضراً وساحلاً وجبالاً وتناولنا خلالها من أحاديث الأدب والتاريخ والجغرافيا ما جعل الوقت يمضي دون أن نشعر به ويتخلل هذا أحاديث منوعة عن تاريخ ينبع وشعرائها وعلمائها وتاريخ الحج في ينبع وخصائص مدينة ينبع وعلاقتها بالمدينة المنورة وعلماء ينبع في صدر الإسلام وفي عصور مختلفة والآثار والجبال التاريخية حولها وينبع في كتب الرحلات وما كتبه ابن خلدون خلال رحلته وكذا الجزيري والنابلسي والبتنوني وخير الدين الزركلي ومحمد حسين هيكل وحمد الجاسر وغير ذلك وأسماء المواضع التي نطير فوقها وهكذا مضى الوقت سريعاً حتى هبطنا في مطار ينبع ثم اتجهنا إلى فندق (هوليدي إن) ومنذ استقر بنا المقام ونحن نجد من أهلها الوداعة واللطف ولقد وصفها أحد شعرائها قبل ألف عام وهو العباس بن الحسن حينما كان يحدث الخليفة هارون الرشيد حيث قال:

يا وادي القصر نعم القصر والوادي ... بمنزل حاضر إن شئت أو بادي

تلقى قراقيره بالقصر واقفة ... والضب والنون والملاح والحادي

وكانت ينبع من أخصب الواحات حيث ذكرها ياقوت في معجم البلدان وأن بها مائة وسبعين عيناً، وقد درست تلك العيون وسميت ينبع لكثرة ينابيعها

الجارية وكانت محطة لزوار المدينة المنورة وللحجاج الوافدين من مصر والشام وسوقا هامة لتجارة البحر الأحمر أيام المماليك وفي خليج رضوى القريب من ينبع حدث الاجتماع التاريخي بين الملك عبدالعزيز وبين ملك مصر فاروق عام ١٩٤٥م، وهي اليوم تزدان بالمشاريع النافعة وأصبحت من المدن الصناعية في المملكة وكانت فرصة للقيام بزيارة مدينة ينبع الصناعية الواقعة على ساحل البحر الأحمر والمنطقة السكنية وزيارة بعض المدارس الواقعة فيها وبعض المرافق التجارية والكلية التقنية وجولة في داخل المدينة القديمة وقلاعها وكذا زيارة ينبع البحر والتجول في أنحائها ومبانيها القديمة وكذا منطقةوادي الصفراء وهي منطقة تاريخية بين المدينة المنورة وينبع كثيرة المزارع والنخيل وقد وصفها الرحالة ابن جبير وابن بطوطة وغيرهم من الرحالة.

وبعد تمضية أيام جميلة في رحاب ينبع والتجول في أحيائها وميناءها ومعالمها ومبانيها وجبالها وخليج رضوى وهو من أشهر جبال الجزيرة العربية وتصب سيوله في ينبع النخل وقد حياه الشاعر فؤاد شاكر حيث أوحى إليه بشموخه بقصيدة سماها تحية رضوى.

طوينا إليك البيد حين نسير ... وفي الصدر منا لوعة وزفير
نسائل عن رضوى وما أنت قصدنا ... ولكن لنا بالسفح فيك أمور

ثم ودعت ينبع بهذه القصيدة (تحية ينبع):

ذهبت (لينبع) فرأيت صحبا ... وأرضاً خصبة فيها ورحبا
وهيئتها التي أعطت بلادي ... صناعات غدت مالاً وخصبا
ومعرضها الذي قد شاق مرءا ... وعرضا قد أزال اليوم جدبا
تراث في بلاد البر أضحى ... وينبع نخله حباً وأبا
تراث (كثير) أضحى مزارا ... (وعزة) يوم كان هوى وحبا
(ورضوى) شامخ بالعز يروي ... لنا ما قد مضى سلما وحربا
تجلت (ينبع) في ثوب عرس ... زها في حفلها نوراً وسحبا

رحلة إلى الطائف

تعتبر الطائف إحدى المدن العريقة والتاريخية وكان بها سوق عكاظ، أعظم أسواق العرب لقد سميت الطائف قديماً "وج" نسبة إلى وج ابن عبدالحي من العماليق وحول الطائف أودية مشهورة ومتعددة ومن هذه الأودية:

١- وادي وج ووادي لية ووادي العرج ووادي نعمان وغيرها من قراه، الهدا والوهط والمثناة والشفا والحوية.

ولقد زرت الطائف عدة مرات في مناسبات تربوية وثقافية واجتماعية كما كانت آخر زيارة لي منذ سنتين حيث دعيت لإلقاء محاضرة في النادي الأدبي بالطائف ويزخر الطائف بسجل كبير من الآثار التاريخية ويأخذ مكاناً مهما بين مدن بلادنا لتميزه بموقعه المهم، أما أول رحلة فقد كانت في ١٣٧١/١/١هـ بعد أن حصلت على الشهادة الابتدائية في المجمعة ولم يكن يوجد أمام الحائز على الشهادة سوى ثلاث مدارس:

١- مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة.

٢- مدرسة دار التوحيد بالطائف.

٣- المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة.

وذهبت إلى مكة المكرمة عبر رحلة برية شاقة عبر الفيافي والمهامه والمفاوز والرمال وكان الطريق صعباً حيث لا طرق معبدة ولا استراحات على الطريق وما زالت تلك الأمكنة نقاطاً حية في الذاكرة وكانت المدة عشرة أيام وكنا ثلاثين طالباً مجموعة من طلاب دار التوحيد وكلية الشريعة بمكة وفي سيارة من سيارات الشركة العربية وتسير بسرعة ٢٥ كيلاً في الساعة وتقف باستمرار ونحملها مرات عديدة وسط الرمال وبعد وصولي إلى مكة المكرمة ذهبت إلى مديرية المعارف لمقابلة الشيخ محمد بن مانع رحمه الله مدير المعارف وأبديت له رغبتي في الالتحاق بتحضير البعثات فطرح عليّ أسئلة متنوعة في النحو والفقه

والتوحيد.

فوجهني إلى مدرسة دار التوحيد في الطائف للدراسة بها وهي مدرسة طبقت شهرتها آفاق المملكة لأنها كانت ميدان تدريب وتنشئة وتوجيه ومنتدى تآلف وتآخي وما زالت ذكرياتها تعيش في الوجدان لكونها باكورة أيام الشباب.

وكانت مصدر إشعاع وتوفر على التدريس بها ثلة من المتخصصين في اللغة العربية والعقيدة والحديث والتفسير والفقه والفرائض، من أجل هذا أجدني سعيداً أني تلقيت بداية تعليمي في دار التوحيد والذي أمدني بكثير من الوسائل والغايات التي بدأت أتطلع إليها فهي بحق إحدى ركائز النهضة التعليمية ونقطة انطلاق في التعليم.

وكان لها فضل الإسهام في تكوين جيل واع مستنير وما زال التاريخ التربوي يحتفظ في ذاكرته لها بالذكر الحسن، وكان لطلابها جد العلماء وحب المعرفة والتفرغ لطلب العلم فكانت مؤسسة علمية وتربوية وكانت الدراسة تبدأ في شهر محرم وتنتهي نهاية شهر شعبان من كل عام، ولا شك أن دار التوحيد والمعاهد العلمية والكليات كانت الانطلاقة الأولى لمسيرة التعليم وكان بها ناد أسبوعي يحفل بالمسامرات الأدبية والمساجلات الشعرية.

لقد كانت الطائف بلدة صغيرة المساحة ذات خصائص تاريخية وكانت مدينة حصينة محاطة ببوابات ومزارع وما زلت أتذكر تلك البساتين في المثناة وغيرها التي كنا نخرج إليها في العصر ولقد قضينا أياماً جميلة في ربوعها.

وما نسيت ولن أنسى مرابعه وسدرة كنت في المثناة أرقاها

لقد كتب الرحالة والمؤرخون عن الطائف باهتمام حيث جاء ذكره في كتب المتقدمين وتحديد مواقعه ووصفه جغرافياً وذكر ما فيه من آثار وعمران وذكر العادات والتقاليد والأخبار مما يتعلق بالسكان، لقد أمضيت في ربوع الطائف أوقاتاً ممتعة وزيارة معالمه وآثاره وقراه.

وكم فيه للأبصار من متنزه تنال به نفس الحليم الأمانيا

ويقول الشاعر الغزاوي:

ألا حبذا أيامنا حول قروة ... إذ الناس في خط من البشر دائب

بوج وفي وادي العقيق ودونه ... وفي ليلة أو بين قرن النجائب

وفي الوهط المخضر أو في وهيطه ... وفوق الشفا أو في أديم السحائب

ولا أنسى بالمثناة ليلات أنسنا ... وبين الهدا أو في جوار الكباكب

ولقد قلت عدة قصائد في الطائف ومنها "بين وج وقروى"

بين وج وقروى [1]

أكرم بطائفنا الجميل ... قطب المصايف والحبور

فالكل هام بجوه ... ويدا على طول الدهور

وقلوبنا قد أفعمت ... بجماله الفذ الغزير

أمضيت أعواماً به ... وبحبه فأنا الفخور

أكرم به من بلدة ... إذ حبها ملء الصدور

تاريخها متواصل ... بالعلم والفكر النضير

وديانها مزدانة ... بالحسن والشجر الوفير

"وج" و"قروى" متعة ... وبها المناظر والزهور

---

(١) بمدينة الطائف.

في حفل تكريم الشعراء الذين تغنّوا بالطائف

بمناسبة الحفل التكريمي لأكثر من ١٨٠ شاعراً وأديباً من شعراء معجم الطائف بمقر محافظة الطائف، ممن تغنوا بالطائف وكنت مدعواً للمشاركة في هذا الحفل في ١٥- ٧- ١٤٢٠هـ وقد نظمت هذه القصيدة بهذه المناسبة وألقيتها في حفل التكريم:

نرى ذا المهرجان لنا مناراً ... بطائفنا لكم نبدي احتراما

وهذا المهرجان بكل قلب ... على صرح المحبة جد قاما

تحايا الحب نزجيها لحفل ... وداً عابقاً لكم دواما

لطائفنا الحبيب به شرفنا ... نعلقه لنا أبدا وساما

أشيدبه مصيفاً في بلادي ... له الحب العظيم به تنامى

به دار [1] لها ذكر وفخر ... وكم محت الجهالة والظلاما

قضينا وسطها أملا بهيجا ... نكرر في محبتها السلاما

وكم كانت لنا فيها علوم ... وجد صادق بلغ الهياما

وذكر يرفل التاريخ فيه ... نرى فيها المحبة والوئاما

سلاما دائما يا رمز نبل ... وذا التكريم منكم قد تسامى

لمن قالوا قصائدهم بود ... لقد أولوه شوقا واهتماما

فصاغوها قصائد خالدات ... من الشعر البديع غدا سناما

بحق إنكم للحفل فخر ... غُمرنا في ودادكم كراما

تدفق فضلكم في نبل حفل ... نراه وصحبنا أبداً وساما

ولن ننساه ما عشنا وبتنا ... وليس لها فكاكا وانفصاما

---

(1) هي دار التوحيد، تأسست سنة ١٣٦٤هـ.

أيام في سوق عكاظ بين وهج الماضي وشموخ الحاضر

عكاظ اسم لموقع اشتق من نوعية النشاط المقام والمعاجم اللغوية في تعريفها تعاكظ القوم تفاخروا ويمثل سوق عكاظ نقلة كبيرة في تأصيل الثقافة العربية والإبداع الثقافي والذائقة الشعرية ولقد شغل الأدب والثقافة العربية منذ قرون ولقد شرفت بدعوة سمو الأمير خالد الفيصل لحضور فعاليات السوق والذي كان أعظم أسواق العرب في الجاهلية التي تضوعت بالشعر وبعبق التاريخ ويذكرنا بمرحلة مهمة من تاريخ الجزيرة العربية ولقد افتتح مهرجان سوق عكاظ الرابع يوم ١٩ شوال ١٤٣١هـ بمحافظة الطائف والذي كان سوقاً وملتقى للشعراء ومنبعاً للقصيدة العربية الرائدة حيث أخرج أسماء وقصائد شعرية كبيرة في تاريخ الأدب العربي.

وكان مكاناً تاريخياً وحضارياً مشهوداً في الجزيرة العربية حيث كانوا يتناشدون فيه الأشعار ويلقون الخطب وكانوا يتحاكمون إلى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غثه من سمينه وتفضيل شاعر على آخر فكانوا يفضلون من سهلت عبارته وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان ويتخيرون من لغات العرب ما حلا في الذوق وخف على السمع فكانت هذه الأسواق الأندية العلمية مجتمعات لغوية وأدبية اهتدى بها العرب إلى تهذيب لغتهم لفظاً وأسلوباً وجعل الشعر والخطابة لغة واحدة من جميع القبائل باذلين في ذلك جهد المستطيع في عكاظ وذو المجاز ومجنة يقول حسان بن ثابت:

سأنشر إن حييت لهم كلاما ينشر في المجنة مع عكاظ

وكانت تقوم سوق عكاظ في شهر ذي القعدة لمدة عشرين يوماً واستمر حتى نهبه الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة ولعكاظ فضل على اللغة العربية في العصر الجاهلي إذ لولاها لأصبحت لغات العرب لغات لا يتفاهم أصحابها حتى أن لغات القبائل العربية كان بينها تفاوت في اللهجة والأسلوب واللفظ فلما

عظم شأن سوق عكاظ وجاءه الشعراء والخطباء كان همهم انتقاء الألفاظ الفصيحة المشهورة عند أكثر القبائل العربية لا سيما قريش ويروى عن قتادة قوله كانت قريش تختار أفضل لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل بها القرآن الكريم وبذلك كان الشعراء والخطباء يبثون وحدة اللغة في أشعارهم وخطبهم فيما بين القبائل العربية متبعين في ذلك لغة قريش غالباً وكانت سوق عكاظ معرضاً واسعاً وتظاهرة ثقافية ومجمعاً لغوياً وقد امتد حوالي قرنين ونصف. وكان له فضل في رقي الذوق الأدبي وعلو كعب القصيدة العربية.

لقد كان الشعراء والأدباء في شمال الجزيرة وشرقها وجنوبها يتمنى كل شاعر أن يحضر لسوق عكاظ وشهود مواسمه ووقائعه. فقد كان الشعر في العصر الجاهلي مأدبة الشعراء التي لا تنضب ولسانهم الناطق بألوان الفصاحة والبيان وكان لسوق عكاظ مراسم خاصة في جلسات التحكيم وكان النابغة الذبياني تضرب له قبة في سوق عكاظ يأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارهم فأنشده الأعشى ثم أنشده حسان ثم الشعراء ثم جاءت الخنساء فأنشدته فقال لها النابغة والله لولا أن الأعشى أنشدني أنفاً لقلت أنك أشعر الجن والإنس قال حسان والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك فقبض النابغة على يده ثم قال يابن أخي إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتاى عنك واسع

وهكذا كان النقاش والجدل حول مضمون النص المسموع والمقروء بروح عالية وإدراك للمضامين والأبعاد لقد قام الأمير خالد الفيصل ببث الحياة في هذا السوق وهو صاحب إبداعية ثقافية وإدارية وهو شاعر مرهف الإحساس إن هذا المهرجان التراثي والتاريخي والسياحي يحمل دلالات على أهمية السياحة الثقافية الأدبية من حيث تفعيل الجوانب الثقافية بمشاركات متعددة حتى يعود لهذا السوق وهجه وصيته ومكانته وهو أمر غير مستبعد ليصبح قبلة

العرب الثقافي وكل شعراء الوطن العربي كي يعبروا من خلاله عن نتاجهم الفكري والإبداعي، وبعد: فقد قضيناها أياماً ممتعة مفعمة بعبق التاريخ ومليئة بالذكريات والوقوف على موقع السوق في العرفاء والتجول في هذا المكان المتسع لقبائل العرب وتذكرت أرجوزة الرداعي والمعالم التي أشار إليها وتذكرت قول أبي ذؤيب:

إذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف

فلسمو الأمير شكرنا على مبادراته الثقافية ولأهل الطائف ومحافظها الشيخ فهد بن معمر ثناؤنا على الحفاوة وما شاهدناه من مفيد ومبهج حيث تحول إلى عرس ثقافي متميز من واقع حضور لكبار المثقفين ولقاءات وزيارات ثقافية مفيدة وثرية أعادت لنا ذكريات الأيام التي عشناها في ربوع الطائف أيام الدراسة في دار التوحيد وكنا في ريعان الشباب والحيوية في السبعينيات وكم راعنا مناظره وأجواؤه الباردة وشعابه وأوديته ونجاده ووهاده ومنتزهاته وأطلاله وأشجاره الوارفة الظلال إنها ذكريات مليئة بعبق التاريخ والتراث أعادت لنا الأيام الخوالي والذكريات وكان مما رأيت اختتام هذه السطور به ما يلي:

نزه الطرف في ربوع عكاظ موطن الشعر زاهيا والمقاله

أيها الشعر عش نشيداً ولحنا بعكاظ فالكل ناخ رحاله

وروابي عكاظ زانت جمالاً حين تبدو من الضباب غلاله

وسينمو النبات في كل واد حيثما يبلغ الربيع كماله

رحم الله ما مضى من سنين فعكاظ كم ذكرونا رجاله

ومشينا بوسط سوق عكاظ وغداً يشرق الضياء لا محاله

ولكم قام في عكاظ خطيب مبدع رائع ما بدا له

ما بين الوشم وسدير

خلال عملي بوزارة المعارف في الفترة من ١٣٧٩- ١٤٠٠هـ كنت أعمل في التوجيه التربوي وبعض المناصب القيادية، ولقد أتيح لي زيارة عدد من مناطق بلادي وما زالت ذكريات تلك الجولات والرحلات ماثلة في النفس.

ولمنطقة سدير والوشم شهرة ودور تاريخي من الواجب التعريف بتلك الحقبة التي مرت بها في الماضي وإبراز واقعها الحضاري والنقلة الحضارية التي تعيشها الآن حرية بأن تغير كل شيء فنحن الآن ننتقل من مرحلة تاريخية إلى مرحلة أخرى تختلف عن الأولى جذرياً ولها ذكر في التاريخ فقد ذكرها المؤرخون القدامى كالهمداني والأصفهاني وياقوت وابن غنام وابن بشر والفاخري والجاسر وابن خميس وابن بليهد وغيرهم.

كما جاء ذكرها في قصائد الشعراء وفي كتب الأدب والتاريخ والأخبار والسير ولقد تناولها كل من كتب عن المنازل والديار والأعلام والمعالم في جزيرة العرب، وكم كنت منذ الصغر أتشوق إلى زيارة قرى هاتين المنطقتين ومرابعها ومراتعها وجبالها ووهادها والوقوف على أطلالها ودمنها.

وفي عام ١٣٨٠هـ كلِّفت من قِبَل معالي وزير المعارف بالقيام برحلة وزيارة لمنطقتي سدير والوشم والعمل على مسحها ومعرفة احتياج كل قرية وهجرة ولعل معرفتي بدروب هاتين المنطقتين وصلتي بأهلها جعل المسؤولين يصرون على ذهابي في هذه المهمة.. فبعد تهيئة مستلزمات الرحلة وأدواتها بدأت بمنطقة الوشم وكانت تشمل مناطق متعددة كعفيف والشعراء والدوادمي وأشيقر وثرمداء ومرات والجمش وديارة المتعددة وهي بلدان للروقة والدلابحة من قبيلة "عتيبة" حيث بقيت معهم فترة من الوقت فكنت أتنقل بين قراهم وهجرهم ومراعيهم لمعرفة عدد أولادهم وننتظر الآخرين لتسجيلهم بعد مجيئهم من المرعى مع دوابهم وماشيتهم ويمتد الانتظار إلى ما بعد الهزيع الأول من الليل حيث لم يصل الآخرون وفي بعض الأحيان نذهب في الصباح

لتلك المراعي التي تحفل بأفانين النبات التي يفوح عبيرها وتكثر طيورها وذلك للوقوف على معرفة عدد أولادهم وكان أحد الإخوة من أبناء البادية يقول نريد المدرسة هنا في هذه الرياض حيث أشجار السلم والرمث والطلح فكنت أقول لهم سوف ننصب لكم الخيام في وسط هذا الربيع والمهم أن تلحقوا أبناءكم بالمدرسة.

كانت الحياة في الثمانينات تختلف اختلافاً كبيراً عمّا هي عليه الآن، وفي الثمانينات لم يكن السفر مريحاً، وكنا خلال الجولات التفتيشية على المدارس نعاني العنت والمشقة في الفترة من ١٣٧٩هـ - ١٣٩٠هـ، وخلال جولة لمسح بعض المناطق لمعرفة احتياجاتها من المدارس في كل من الدوادمي والجمش وعروى وغيرها، وبالطبع فإن الطرق في ذلك الوقت كانت غير ممهدة وهذه المناطق صحراء مرتفعة تربتها رملية وتكثر فيها التنوءات الصخرية الخشنة مما يسبب لسيارتنا العطب.. ولكن الإخوة في هذه المناطق سرعان ما يهبُّون لنجدتنا ونسير على الأقدام لأقرب قرية حتى يتم إسعاف السيارة وجلب الوقود لها حيث لم تكن محطات البنزين متوفرة بل يأخذ المرء معه برميلاً في السيارة، وكلما نفد البنزين نقوم بتوصيله للسيارة من خلال "شافط" لهذا الغرض وخلال البقاء مع السكان كنت أبذل الكثير من الجهود نحو توضيح رسالة المدرسة وأهميتها وضرورة إلحاق الأبناء بها، وقد كنا نصطدم بعض الأحيان بالكثير من المعوقات.. بسبب اختلاف الآراء حول مكان المدرسة ومقرها وموقعها ومن سيكون مدرساً بها وغير ذلك من النقاش والكلام الطويل، وكنت أدعوهم إلى الارتفاع عن الخلافات والنزاعات وأقوم بقياس الأرض وأحرص على توسطها بين القرى المتجاورة تلافياً للنزاع والمشاحنات التي تعقب ذلك.

أذكر ذات مرة في تلك الهجر التي زرتها، وإذا بأحدهم يقول لا نريد المدرسة فقلت ولماذا؟ فقال: إنها سوف تأتي لنا بالغرباء، وقد يوجد منهم من يشرب الدخان... إلخ، فقلت له سامحك الله إن المدرسة سوف تكون عوناً لكم

على إصلاح أولادكم وتهذيب أخلاقكم وستلقن هؤلاء الشباب دينهم الإسلامي ولغتهم العربية ولن يكون فيها أي شيء مما أشرت إليه وسيختار لها أصلح المعلمين وأحسنهم خلقاً وسلوكاً وديناً.. فقال إذا كانت هكذا فأهلاً وسهلاً ثم فوجئت في مكان آخر من يقول إذا نتم مصرِّين على فتح المدرسة فلا بد من تعيين إمام المسجد والمطوع معلمين بالمدرسة فكنت أعِدهم بتحقيق ذلك بعد موافقة الوزارة.

والذكريات كثيرة في هذا المجال. وبعد ذلك ذهبت لمنطقة السر وبها العديد من القرى وبعد زيارتها ومعرفة احتياجها من المدارس مضينا في طريقنا إلى الدوادمي وعفيف حتى كان اللقاء مع أسرة التعليم في الدوادمي في جبل "البيضتين" وهما هضبتان حمراوان على شكل بيض وحجارتهما ملساء ومن هذه الربوة شاهدنا أعلام الجبال والمعروفة شهرة ومكانة في الشعر العربي، وبعد تمضية يوم حافل مع الإخوة الكرام في تلك المنطقة انطلقنا إلى منازل البادية ومسح تلك المناطق والتوصية بافتتاح مدارس بها.

ومن الوشم اتجهت لمنطقة سدير عبر كثبان رملية، كدت مع السائق أن نندفن بها لولا عناية الله فقلت له ويحك كيف تجتاز بنا هذا الطريق الرملي الرهيب وهناك طرق أيسر منه، فقال: إنه مختصر ولكنه يحتاج إلى مغامرة، فكم مات فيه من أناس دون أن يعرف بهم أحد.. كما رأيت رمالاً مخيفة لا يوجد بها إنس ولا جان.

ثم أخذنا في الانحدار التدريجي مع هذه الرمال، وكم تذكرت شاعر اليمامة الذي حن إلى هذه المناطق وكان متغرباً في اليمن "وهو زياد بن حمل التميمي" إذ يقول وكنت على مشارف "أشى":

وحبذا حين تمسي الريح باردة ... وادي أشي وفتيان به هضم

والوشم قد خرجت منه وقابلها ... من الثنايا التي لم يقلها ثرم

ومنذ أن دخلنا بلدان سدير ونحن نرنو إلى جبل طويق بشماريخه

الطويلة الفارعة، ووصلنا المجمعة قاعدة إقليم سدير وهي المدينة التي ولدت ونشأت وعشت فيها وتاريخها يعود إلى عام ٨٢٠هـ ولها ذكر وتاريخ ولقد تحدث عنها الكثير من الرحالة والمؤرخين وقد أنجبت عدداً من العلماء والأدباء والشعراء والمربين الذين أسهموا في خدمة المملكة العربية السعودية، وقد أسست أول مدرسة بها سنة ١٣٥٦هـ وهذه المدرسة معلم من معالم البداية الحضارية المشرقة في جميع أنحاء المملكة، ولقد سبق أن تحدثت عن المجمعة في عدة مناسبات ومقالات عن تاريخها وعلمائها وآثارها.

وفي هذه المنطقة قمت بزيارات متعددة لمناطقها وهجرها النائية ومناهل المياه القريبة من مضارب البادية، ومن الذكريات التي واجهت فيها بعض الصعوبات زيارة "عقل الزلفي" وهي جمع عقلة وهي قرى ومزارع داخل نفود الثويرات وسمِّيت عقلاً أخذاً من عقال الراحلة الذي يمكن أن يؤخذ الماء به من آبارها لقرب تناولها فهي بمثابة الأحساء في جوف هذا الرمل، وتحيط بهذه العقل الرمال من جميع جوانبها وتبعد عن الزلفي حوالي ١٨ كيلاً في جنوبه الغربي، فكنت حريصاً على زيارتها والاجتماع بسكانها ومعرفة احتياجهم للمدارس، وكان اجتياز هذه الرمال في النهار صعباً وينبغي الذهاب ليلاً فبعد صلاة المغرب نتوجه إلى هذه العقل مشياً على الأقدام فزرتها عقلة عقلة ووجدت من بعض أهلها ترحيباً بالمدرسة وعدم حماس من الآخرين وبالنقاش والتوضيح لدور المدرسة وأهميتها والاهتمام بشروط سكانها تم بحمد الله افتتاح مدارس بها.

حقاً ما أكثر الذكريات.. لقد كانت أياماً من أجمل أيام العمر وأحفلها بالذكريات الطيِّبة التي تزخر بها النفس، وكنا نبتهج بافتتاح أي مدرسة وننسى المتاعب والصعوبات ونتذكر أسلافنا رحمهم الله الذين كانوا يضربون آباط الإبل من أنحاء هذه البلاد لحضور مواسم العلم والأدب.

وهناك ذكريات كثيرة كنقص الكتاب المدرسي والمعلم والأجهزة

ووسائل التعليم في ذلك الوقت... إلخ، فلم أذكر إلا جزءاً يسيراً مما ينبغي ذكره في مواقف كثيرة.. ولرجال كثيرين عرفتهم واجتمعت بهم لا يتسع المقام لذكرهم خلال تلك الجولات التفتيشية.. وأن ما تحقق اليوم من تطور تربوي ونهضة تعليمية حديثة تجعلنا نشعر بالفخر والاعتزاز وما نراه اليوم هو بلا شك امتداد لمجهودات الأوائل ومحاولاتهم وبداياتهم التي تمخَّضت عنها هذه الوثبة التربوية الجبَّارة والمسيرة التعليمية الشامخة في طريق العلم والمعرفة والبناء وتحقيق الآمال والطموحات.. والله الموفّق إلى سواء السبيل.

في جلاجل

في صبيحة يوم مشرق جميل الموافق ٢٠/٤/١٤٣٠هـ وبدعوة من صديق عزيز لحضور حفل جائزة التميز في جلاجل التي تقع في منطقة سدير وعلى بعد ١٧٥ كيلاً عن الرياض شمالاً، وهي بلدة تاريخية قديمة ذكرها المؤرخون والشعراء مثل ذو الرمة:

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا أأنت أم أم سالم

وقد قال البكري في معجمه جلاجل أرض في اليمامة وتعتبر من أقدم بلدان سدير وأشار ابن خميس في معجم اليمامة أن بلد جلاجل قد أعيدت عمارتها في مكانها الحالي عام ٧٠٠هـ وسميت جلاجل بهذا الاسم من جلجلة الماء وهو صوت الماء القوي بعد سقوط الأمطار وجريان الأودية.

ولقد زرت هذه البلدة عدة مرات خلال الجولات التفتيشية على مدارسها وزرت معالمها الأثرية كقصر سويد بن علي والسور القديم وبيت المؤرخ الشيخ عثمان بن بشر صاحب كتاب عنوان "المجد في تاريخ نجد"، ومدارس الكتاتيب القديمة ولجلاجل ذكر في تاريخ نجد وقد أنجبت علماء وشعراء، وتوجهت بعد ذلك إلى مقر حفل جائزة جلاجل للتميز والذي اكتظ بالمدعوين والشوق يدعونا إلى حضور هذا الحفل الثقافي وتشجيع المتميزين من الشباب مما سيكون له أثر في نفوسهم وبين جوانح آبائهم حيث تشكل جوائز التفوق العلمي في بلادنا شاهداً حياً ورافداً أصيلاً للعلم وركيزة أساسية للمعرفة والإبداع والثقافة وإنجازاً علمياً وتربوياً لرفع مستوى التحصيل العلمي والتفوق الفكري. وكم للجوائز العلمية من مردود إيجابي ينعكس على مستوى التحصيل الدراسي وتنمية المواهب وتوجيهها الوجهة الصحيحة لاستمرارها في التفوق وإثراء المعرفة والثقافة.

وإن تشجيع العلم والمعرفة والأخذ بيد الشباب نحو آفاقه يعطي بعداً

مهماً في حياتهم الدراسية، ولقد اهتم الإسلام بالعلم والفكر وعمل أسلافنا منذ القدم عبر تاريخهم الطويل على تشجيع العلم والمعرفة والبناء بكثير من السخاء والعطاء المثمر؛ تطبيقاً لحديث رسول الله - ﷺ - : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

ولقد أسعدني الحظ أن أحضر للمشاركة في حفل جائزة جلاجل للتميز خلال مهرجان ثقافي رفيع برعاية سمو محافظ المجمعة الأمير عبدالرحمن بن عبدالله بن فيصل آل سعود. وتم فيه تكريم مجموعة من شبابنا الطموح والمتفوقين في دراستهم وتحصيلهم العلمي، ولقد حضره حشد كبير من العلماء والأدباء ورجال الأعمال ورجال التربية والتعليم. والجائزة بهذا تنطلق من دعائم حضارة بناها الأسلاف؛ فهي تخصب العلم وتبلور الفكر وعامل كبير لتحفيز المتفوقين والمتفوقات ووسيلة مثلى لتكريم العلم والمنتسبين إليه.

وتحيةً للأستاذ الفاضل عبدالعزيز الشويعر، ابن جلاجل البار، على جهوده المباركة واحتفائه بالعلم والأخذ بأيدي المتفوقين والمتفوقات وتكريمهم.

وكانت هذه المناسبة فرصة لزيارة روضة الأطفال بجلاجل وافتتاح معرض برنامج الشويعر للتوعية بأضرار المخدرات وزيارة منزل الوجيه عبدالله المزروع والمركز الصحي ونادي سدير والذي تم تشييده على نفقة الشيخ عبدالعزيز الشويعر زاده الله توفيقاً.

وبعد قضاء يوم حافل بالنشاط في رحاب جلاجل التاريخية ودعناها ونحن أكثر شوقاً إليها وكانت فرصة لزيارة بعض بلدان سدير والتجول بين قراه ومزارعه وأوديته ومرابعه ومراتعه وأعلامه – فالتجوال في هذه المناطق هواية ودراسة والوقوف على الأطلال والدمن شوقاً وحباً للمعرفة والتاريخ حيث انطبعت تلك الأماكن التاريخية في الذهن وترسخت رقعتها في المخيلة فكانت لوحة لا تغرب عن الخاطر.

في عودة سدير

منطقة سدير منطقة قديمة تاريخياً وحضارياً من المناطق الهامة في نجد لما لها من تاريخ، وقد تميزت بخصائص جغرافية وسياسية واجتماعية واقتصادية ومعالم أثرية، ولقد قمت برحلات متعددة إلى منطقة سدير والتجول بين وهادها وآثارها وأمجاد هذه المنطقة وتاريخ أسلافنا وما ورد ذكره في كتب التاريخ والتراث، فهذه المنطقة ذات قيمة تاريخية وجغرافية وحضارية نظراً لما احتوته من تاريخ عريق متنوع لما في المنطقة وحاضرها وتراثها وأخبارها ومأثوراتها الشعبية وأسماء أسرها ومشاهير علمائها وشعرائها وخلال رحلة قمت بها إلى عودة سدير التي تقع في السفوح الشرقية من طويق ومساحة من وادي سدير "الفقى قديماً".

ولقد ورد ذكرها في كتب المؤرخين كالهمداني والأصفهاني وياقوت وغيرهم وكذا ابن خميس في معجم اليمامة ولقد شاهدت الأطلال المتهدمة بما يدل على قدمها ورأيت البلدة الحالية وغيلان وجماز وغيرها وهناك آثار مطمورة تحت الأرض وحسناً فعلت هيئة الآثار بالحفاظ عليها ولعل البحث في هذه الآثار في العودة وسائر منطقة سدير يبرز لنا الكثير من الحقائق التاريخية والنصوص التاريخية المتحدثة عن هذه المنطقة ومن العودة انطلقت إلى تمير وعشيرة والجنوبية والجنيفي والروضة وحوطة سدير والحصون والخطامة والداخلة والعطار والمعشبة، ولقد أورد ابن غنام وابن بشر في تاريخه وابن خميس في معجم اليمامة أخبار هذه البلدان وتفصيل موسع لما مر بها من أحداث سابقة وغيرها كما أورد "لوريمر" في كتابه عن منطقة سدير وأورد إحصائيات عن المنطقة وتاريخها وأهميتها والآثار الباقية فيها ولا شك أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يعرف تاريخها وتراثها وأوجه الحياة فيها قديماً وحديثاً وكم سررت بالنهضة الحضارية والرقي والتقدم في شتى المجالات.

في الغاط

سبق أن زرت الغاط عدة مرات ولعل أول زيارة كانت في عام ١٣٨٠هـ في جولة تفتيشية على مدارس المنطقة والغاط بلدة تاريخية ورد ذكرها في كتب المؤرخين والجغرافيين وقصائد الشعراء واليوم تعيش نهضة وتطوراً في شتى المجالات وقد زرت الكثير من معالمها التاريخية ووواديها الواسع الثري بالروافد والمناطق الأثرية ويحدد سليمان السديري أمير الغاط وجد أسرة السديري الغاط في بيت شعر فيقول:

حنا حمانا من سويس إلى الخيس والخيل ننخاها إلى المجدلية

وخلال زيارتنا للغاط مررنا بوادي مرخ وهو من أشهر الأودية لما له من ذكر ومكانة تاريخية وقال الشاعر عمارة:

فأطم ذا مرخ فبات يكبه عما اطمأن من الكثيب توثب

وعلا لغاط نبات يلغط سيله في قرقرى شعب اليمامة تشعب

وبعد جولة في ربوع الغاط توجهت لحضور حفل جائزة الأمير خالد السديري خلال مهرجان ثقافي رفيع تم فيه تكريم مجموعة من شبابنا الطموح والمتفوقين في دراستهم وتحصيلهم العلمي، فهو حفل ثقافي في كل عام وموسم فكري وتربوي وثقافي يجمع رجال العلم والأدب والتربية والتعليم، وكانت فرصة لزيارة معالم الغاط وآثارها ونهضتها الحضارية. وكانت تسمى قديماً لغاط.

قال الحطيئة:

الله قد نجاك من لغاط ومن زليفات ومن أراط

وتحتوي الغاط على آثار ومعالم تاريخية قديمة.

ويقول أحد الشعراء:

يا زائر الغاط هذا النبت والزهر أرض الحمادة معطاء من الثمر

منطقة سدير وأهمية تاريخها

سدير من أكبر أقاليم اليمامة وقاعدته المجمعة وله ذكر وشهرة ومكانة يحده من الغرب جبل طويق ومن الشرق جبل مجزل ومن الجنوب العتك ومن الشمال روضة/ السبلة. وهذه المنطقة قديمة تاريخياً وحضارياً لما تميزت به من خصائص جغرافية وسياسية واجتماعية واقتصادية ومعالم أثرية.

ولقد طوفت بمنطقة سدير صغيراً وكبيراً متنقلاً بين الجبال والوهاد والمعالم والآثار والأماكن والمواضع الممتدة عبر عصور التاريخ، وكانت مجالاً رحباً وموطناً خصباً لقبائل عربية ونجد ا لحصون والقلاع والآبار شاهداً على ما لهذه المنطقة من بنيان وتاريخ شامخ عبر الحقب التاريخية وقد تنوعت مصادر تاريخية في كتب البلدانيات والتاريخ والأنساب والتراجم واللغة.

وتاريخ الأمة هو هويتها وذاكرتها يلهم الأجيال بما يحيي الماضي في نفوس أجيال الحاضر ويذكرها بجلال تاريخها ويحفزها للارتقاء إلى مجالات التطلع والتفوق والتقدم الحضاري والإبداع الفني، وفي كل بقعة من بلادنا لها تاريخ وآثار، ولا غرو فالجزيرة العربية مهد الحضارة وأولى بقاع الأرض التي حملت الإنسان الأول ومهدت له سبل الحياة. ولقد حظيت كثير من بلادنا بوجود مراكز علمية ومكتبات رائدة ومتاحف مرموقة إلا أن بعض المناطق في بلادنا تحتاج إلى العناية وإيجاد مراكز ومتاحف تهتم بالحفاظ على تاريخ وتراث بلادنا، ومن ذلك منطقة سدير وهي ذات تاريخ وذكر وشهرة ومكانة أنجبت عدداً من المؤرخين والعلماء والشعراء والرواة وتاريخاً حافلاً .

فهذه المنطقة تحتاج إلى مؤسسة ثقافية تعنى وتحرص على جمع تراث المنطقة تحت سقف واحد والحفاظ على آثار المنطقة وتاريخها بما تحتوي عليه من تاريخ امتد عبر الزمن، ولقد قال نابغة بني شيبان:

أرى البنانــة أقــوت بعــد ســاكنها فــذا ســدير وأقــوى مــنهم أقــر

وقال عمرو بن الأهتم:

وقوفــاً بهــا صــحبي علــيَّ مطــيهم يقولــون لا تجهــل ولــست بجهّــال

فقلــت لهــم عهــدي بزنيــب ترتعــي منازلها من ذي سدير فذي ضال

وما أكثر شواهد الشعر وتعدد الشعراء قديماً وحديثاً الذين ذكروا هذه المنطقة وتاريخها وآثارها منذ القدم، وقد كثر ذكرها في كتب المنازل والديار كالهمداني وياقوت والحفصي والبكري .

ومن مؤرخيه ابن بشر وابن لعبون والمنقور والفاخري وغيرهم إن هذه المنطقة حافلة بشواهد تاريخية تحتاج إلى التوثيق وعسى أن نرى ذلك قريباً ضمن المشروع الشامل لجميع مناطق المملكة وإثراء حركة البحث العلمي والتاريخي والدراسات المتعلقة بتاريخ مناطق بلادنا وبث الحماس والتنافس بين المتخصصين والمهتمين بالتاريخ والآثار .

في بلدة شقـراء

كانـت مغـادرة الريـاض يـوم ١٥/٥/ ١٤٣٠هـ وكـان المـرور ببلـدة حـريملاء ورغبـة والقـصب ومررنـا بأمكنـة وقـرى عديـدة حتـى لاحـت لنـا شـقراء عاصـمة الوشم وهي بلدة تاريخية ذكرها الأصفهاني وياقوت وابن بليهد والجاسر وابن خميس، ولم تكن هذه الرحلة أول رحلة إليها فقد زرتها من قبل خلال الجولات التفتيشية واستجابة لدعوة كريمة من الإخوة آل الجميح لحضور حفل جائزة التفوق العلمي ولقد رددت قول الشاعر:

فبوركـت يـا شـقراء قومـا وموطنـا ومنتجعـا في سـاحة الـروض معطـر

وبعد استراحة قصيرة أحسست برغبة شديدة في التجوال في شوارع البلدة لمشاهدة معالمهـا وآثارهـا كمـا قمـت بجولـة في أحيائهـا القديمـة وقـصر عبدالرحمن السبيعي وبعض مزارعها ولقد رصد ابن بشر وابن غنام الكثير من الحياة التاريخيـة فيهـا ولقـد ذكرهـا الـشاعر زيـاد بـن منقـذ في وصـف طريـق رحلته من اليمن وشوقه إلى بلد "أشي" إحدى قرى محافظة المجمعة.

متـى أمـر علـى الـشقراء معتـسفا خـل النقـا بمـروح لحمهـا زيـم
والوشـم قـد خرجـت منـه وقابلـها مـن الثنايـا الـتي لم أقلـها بـرم

ويؤيـد قـول صـاحب معجـم البلـدان الـشيخ محمـد بـن بليهـد في كتابـه صحيح الأخبار سميت شقراء بأكمة فيها ويقول الحطيئة الشاعر المعروف:

فلمـا نزلنـا الوشـم حمـراً هـضابه أنـاخ علينـا نـازل الجـوع أحمـرا
رحلنـــا وخلفنـــاه عنـــا مخيمـــا مقيما بدار الخير شقراء وأشقرا

وذكرهـا الهمـداني ٣٣٤هـ في كتابـه صـفة جزيـرة العـرب وغـيره مـن المؤرخين كابن غنام وابن بشر، ثم توجهنا بعد ذلك لحضور حفل الجائزة حيث تشكل جوائز التفوق العلمي في بلادنا شاهداً حياً ورافداً أصيلاً للعلم وركيزة أساسية للمعرفة والإبداع والثقافة وإنجازاً علمياً وتربوياً لرفع مستوى

التحصيل العلميوالتفوق الفكري وكم للجوائز العلمية من مردود إيجابي ينعكس على مستوى التحصيل الدراسي وتنمية المواهب وتوجيهها الوجهة الصحيحة لاستمرارها في التفوق وإثراء المعرفة والثقافة.

ولقد أسعدني الحظ أن أحضر للمشاركة في جائزة الجميح للتفوق العلمي خلال مهرجان ثقافي رفيع تم فيه تكريم مجموعة من شبابنا الطموح والمتفوقين في دراستهم وتحصيلهم العلمي ولقد كان الحضور كبيراً وجليلاً.. وحضره حشد كبير من العلماء والأدباء ورجال التربية والتعليم من مختلف مناطق المملكة، فهو حفل ثقافي وموسم فكري وتربوي، كما تعتبر الجائزة ملتقى علمياً وقناة اتصال بين رجال الأدب والفكر والتربية والتعليم.

ونحمد الله أن بلادنا اليوم أخذت مكاناً حضارياً رائداً في مجالات العلم وميادين المعرفة ولا غرو فقد كانت هذه البلاد بالأمس منطلق العلم والفكر وموئل الأدب والمجد والشعر ومهوى أفئدة العرب والمسلمين على امتداد التاريخ.

وحين نحتفي بهذه المناسبات السعيدة فإنه لا يسعنا إلا أن نوجه كلمات الشكر والتقدير لمثل هذه الجوائز والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.. وفق الله جهود العاملين المخلصين والحريصين على تشجيع العلم والمعرفة والفكر والثقافة في هذه البلاد العريقة الأصيلة منطلق الإسلام ومهد العروبة ومنبع الأصالة وموئل التاريخ المجيد.

في ربوع المحمل والشعيب

خلال الجولات التفتيشية في الثمانينيات زرت عدداً من المدن والقرى ومن ذلك بلدة ثادق والتي عمرت سنة ١٠٧٩هـ عمرها آل عوسجة من الدواسر وهي قاعدة إقليم المحمل ولقد تجولت بين وديانه ورياضه وربوعه وبلدانه مثل البير ورغبة والصفرات والرويضة والمشاش والحسي ودقلة وغيرها ، وبها مدارس وأسواق عامرة ونشاط زراعي – وشاهدت فيها الكثير من الأطلال والبروج والمزارع والنخيل والمعالم التاريخية وخلال زياراتي لهذا الإقليم كنت أجد من أهله المروءة والكرم وحسن الاستقبال ووجدت من مديري المدارس والأساتذة وطلاب العلم ما أبقى في نفسي أبلغ الأثر وأجمل الذكريات ومنطقة المحمل تقع شمال الشعيب.

ولقد صدرت كتب عن هذه المناطق دون أصحابها ما يتعلق بها من جوانب الحياة المختلفة مما يتطلع إليه القارئ والباحث منها كتاب عن البير للأستاذ محمد الحمدان وتزدان هذه البلدان في أيام الربيع حيث الرياض الخضراء وكم رددت وأنا أرنو إلى مناظر الربيع فيها قائلاً:

متع فؤادك بالجلوس هنيهة بين الحياة وروضة خضراء

وكم يخفق القلب للربيع الجذاب والهواء العليل وتسريح الطرف في أرجاء تلك الرياض الفيحاء وقد تبرجت وتجلت فتنة للناظرين وبعد تمضية أوقات في مناطق هذا الإقليم غادرته والنفس مفعمة بشتى الانطباعات والذكريات والمشاهدات من غير ملل مستمتعاً بالتاريخ والطبيعة والآثار ومع الناس وحياتهم وكرمهم. وبلدانهم المزدهرة مردداً قول عقبة بن سوداء:

ألا يا لقومي للهموم الطوارق وربع خلا بين السليل وثادق

في حريملاء

لقد قمت بجولات وزيارات لمنطقة الشعيب وهو واد في منطقة العارض به بلدان ونخيل ومزارع وسدود وقاعدته (حريملاء) وتشمل بلدان وقرى وهي القرينة وملهم وسدوس وصلبوخ والبرة وحزوى. وترددت على بلدة حريملاء التي تأسست سنة ١٠٤٥هـ وهي بلدة عامرة ذات نخيل ومزارع وبها مدارس ومرافق حكومية كثيرة ونشاط علمي واقتصادي وعمراني ولقد دعاني الزميل عبدالعزيز الخريف لحضور عدة مناسبات ثقافية وكنت أجد في أخلاق أهلها مرح ولطف ومكارم أخلاق :

لأهلها ولها في القلب منزلة ... وكيف أنسى بها صحباً وخلانا

ونحمد الله أن مدن بلادنا وقراها متماثلة تنتمي إلى كيان واحد تتشابه به أوضاعها وعاداتها وتقاليدها وتجعل مواطن هذه البلاد يعتز بانتمائه ومواطنته التي تشمل كيان الوطن على اتساعه.وخلال التجوال في هذه البلدة الواقعة شمال غرب الرياض تذكرت قول أوس بن حجر:

تحلل عذرا حرملاء وأقلعت ... سحائبه لما رأى أهل ملهما

ويقول الشاعر عبدالعزيز السراء:

حريملاء التي تمت محاسنها ... وأصبحت معلما كالكوكب الساري

رق النسيم بها من كل رابية ... وفاح منها شذا ورد وأزهار

وبعد: فما أكثر الجوانب التاريخية والجغرافية لمنطقة المحمل والشعيب مردداً قول الشاعر:

فهذه الأرض قد ساد النشاط بها ... فيها الحياة وفيها العلم والقيم

ما بين الخرج والوادي

في عام ١٣٨٠هـ كلفت من قبل معالي وزير المعارف الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ بالقيام بجولة تفتيشية مع مجموعة من التفتيش الإداري والإدارة الهندسية بالوزارة لمسح المنطقة ومعرفة مدى احتياجها إلى اقتتاح مدارس بها واستلام بعض المدارس التي تم بناؤها – فممرنا بالخرج ذات التاريخ العريق والواحة الزراعية نخترق الأودية والرياض من وهد إلى نجد ومن نجد إلى وهد وبعد زيارة لمدارس الخرج قمنا بجولة في ربوع المشروع الزراعي وينابيع المياه التي تضمن الري الزراعي على أحسن حال.

ومنطقة الخرج منطقة زراعية رحبة وأرضها رملية طينية وتحف بها الرياض المشهورة (السهباء، والبجادية، والتوضحية) ومن بلدانه السيح وهو قاعدة الخرج والدلم واليمامة ونعجان والهياثم وزميقة وغيرها ولكم تذكرت أقوال الشعراء كقول جرير : يا حبذا الخرج بين الدام والأدمي وقول ذو الرمة: بنفحة من خزامى الخرج هيجها.. وفي الخرج معالم تاريخية ذات شهرة. ثم انطلقنا إلى الأفلاج وهي بلدة عامرة بالسكان والعمران والنخيل مشهورة بعيونها الجارية ويتبعها عدد من القرى والبلدان وبعد جولة وزيارة لمدارسها توجهنا نحو حوطة بني تميم والحلوة ومنها انطلقنا إلى بلدة "تمرة بوادي الدواسر وكان الطريق طويلاً ووعراً ورملياً وتوقفت السيارات عدة مرات لتبريد آلاتها ونفد ما معنا من الماء فذهب أحد السائقين يتجول قليلاً بين تلك الأرض المعشبة فيظفر في جانب منخفض بماء استطاع أن يغترف منه ما ملأ مخزن الماء في السيارة واستأنفنا السير وأخذت السيارات تنهب الأرض نهباً ونجيل الطرف فيما حولنا من فضاء غير متناه فلا نرى إنساناً ولا طيراً ولا شجراً فأحس رفاق الرحلة من الإخوة المفتشين والمهندسين بالإرهاق والفزع قائلين إلى متى سنظل نقطع هذه الفيافي الموحشة فتوقفنا لتهدئة روعهم وإقناعهم بمواصلة الرحلة وإنجاز المهمة حتى قال أحدهم ما جئنا لنموت في هذه الصحراء نحن وراءنا في بلادنا أولاد ومسؤوليات. فظللت أردد على مسامعهم بعض الحكم المأثورة وأهمية الصبر في مثل هذه المواقف ومقولة

سيدنا يونس عليه السلام . وبعد ساعة من الوقوف والنقاش إذا بي أسمع أصداء صوت يتردد في الأفق وسط ليل مظلم أدركت أن فرج الله قريب وإذا بأعرابي على راحلة يمر بنا وعندما اقترب منا انتزع بندقيته من راحلته وصوبها نحوي عندما ذهبت لمقابلته قائلاً لي: أنت جني والا إنسي فقلت يا وجه الخير السلام عليك أولاً فصار يطرح علي عدداً من الأسئلة وبعد أن هدأ واطمأن دعوته للقهوة والجلوس معنا فأخذ يصف لنا الطريق ونصحنا بسرعة السير فلو طلع عليكم قرص الشمس فلن تخرجوا من هذه الرمال الحارة والطويلة بسلام فحاولت إقناع مرافقي بما قاله الأعرابي حيث قال إن براميل الماء والوقود سوف توصلكم الوادي لأنه أقرب لكم ولكن لو رجعتم وتوقفت سياراتكم لهلكتم في الطريق كما هلك مسافرون قبلكم وبعد حوار قصير بيننا وافق الجميع على المسير وأن نكون بجوار بعض في هذه الرمال والصحراء الشاسعة حتى لا نضل فتنقطع بنا السبل وفي الصباح اختلطت علينا الطرق وبدأت أشعة الشمس الحارة ولم نصل للوادي وبلدة تمرة إلا بعد الظهر ثم كان الحديث طويلاً بعد ذلك مصحوباً بالدعابات والتعليقات والفكاهات. وبعد جولة في منطقة الوادي وزيارة بعض المدارس واستلام مدارس جديدة قفلنا راجعين مغمورين ببهجة الغبطة والسرور في إتمام مهمتنا ونضرب بأبصارنا في طول الفضاء وعرض الأفق وارتقاب رؤية القرى ومناهل المياه مردداً قول امرئ القيس الذي شكا من طول الليل في معلقته :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فلقد أمضينا في هذه الرحلة أسبوعاً كاملاً في سفر متواصل وتنقل مستمر وتغلب الصبر على الضجر وخفقت القلوب واشرأبت الأبصار كلما لاح للعيون مرأى القرى والبلدان:

رعى الله أياماً طوينا نهارها بكثبان رمل زينتها الجداول

رحلة إلى أرض الذهب والتاريخ

في صبيحة يوم الثلاثاء الموافق ١٤٣٢/١/٢٩هـ توجهت مع نخبة من الأصدقاء تلبية لدعوة من محافظ القويعية الأستاذ عبدالله بن محمد الربيعة وقد مررنا ببلدة "ضرما" والمزاحمية وتبراك وجو وقد ورد ذكرها في معجم البلدان لياقوت وذكرها الشاعر جرير والأعشى والسليك وكنت أردد قصائدهم في هذه البلدان حتى لاحت لنا محافظة القويعية أرض الذهب والمعادن والتاريخ والواقعة في قلب نجد وتبعد عن الرياض(١٧٠) كيلاً حيث يخترقها الطريق السريع (الرياض – مكة المكرمة) وتحدها من الشمال محافظة الدوادمي ومن الجنوب وادي الدواسر ومن الشرق محافظة الحريق ومن الغرب عفيف وتعتبر من أكبر محافظات منطقة الرياض من حيث المساحة حيث تقدر مساحتها بحوالي (٩٥) ألف كيلاً ويتبعها حوالي (٦٠٠) قرية وهجرة وعند الوصول إلى القويعية لاح مبنى المحافظة وعليه شعار إشراقه نحو المستقبل واستقبلنا المحافظ بكل بشاشة وترحيب كما وجدنا عدداً من أعيان المحافظة والمسئولين فكانت فرصة للتعارف وللحديث عن هذه المنطقة ونهضتها الحضارية وتاريخها المجيد وما قاله المؤرخون والشعراء قديماً وبعد جولة في مرافق المحافظة كان حفل الغداء ثم جولة في أنحاء المدينة والاطلاع على مظاهر النهضة والمشاريع التنموية ومراكز العلم والمؤسسات التربوية ومستشفى القويعية الشاهق ببنائه الحديث ثم توجهنا بعد ذلك لمشاهدة بعض المعالم التاريخية والآثارية حيث أن القويعية إحدى بلدان نجد القديمة وتدل الآثار القديمة على أنها استوطنت منذ أكثر من (٥٠٠٠) سنة ويوجد بها مواقع أثرية تعود إلى العصر الآشوري ونقوش ورسوم ثمودية على صخور جبالها ونقوش وكتابات إسلامية والتي تنتشر على بعض القمم وسفوح الجبال بها ومن معالمها جبل "شمام" والذي يقف شامخاً على مر العصور وهو يبعد مسافة

(٤٠) كيلاً من القويعية وقد أشار ياقوت الحموي إلى أن اسم هذا الجبل مشتق من الشمم والعلو وقد اكتسب أهمية تاريخية وورد ذكره في قصائد الشعراء من أمثال لبيد بن ربيعة وامرئ القيس القائل:

كأني إذا نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شمام

وكذا النابغة الذبياني القائل:

لقد أقريتهم خزياً مبيتاً مقيماً ما أقام أبنا شمام

وجرير القائل:

عاينت مشعلة الرعال كأنها طير تناول في شمام وكورا

وكذا الفرزدق وغيرهم من الشعراء.

ومن المعالم جبل صبحا "يذبل" وهو أعلى قمم الجبال في نجد ويقع جنوب غرب القويعية وهو جبل مكون من الصخور الجراتينية الحمراء وقد تغنى بذكره عدد من الشعراء في العصر الجاهلي فقد ذكره امرؤ القيس قائلاً:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وذكره النابغة الجعدي وذكرته الخنساء قائلة:

أخو الجود معروف له الجود والندى حليفان ما قامت تعار ويذبل

وكذا جبل الدخول وحومل وهما موضعان بارزان ويقعان في جنوب غرب مدينة القويعية ويعدان من أشهر شواهد الشعر حيث قيل:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهناك أودية وجبال وموروث تاريخي حفل الشعر بذكر والتغني به ثم توجهنا إلى منجم الأمار التابع لشركة التعدين على بعد خمسين كيلاً وقد ورد ذكره في معجم البلدان لياقوت ويحتوي على المعادن والذهب والنحاس والزنك والفضة والرصاص وقد قمنا بزيارة المنجم بصحبة سعادة المحافظ

والمسئولين في الشركة الذي شرحوا لنا عن تاريخه وإنتاجه ثم جولة داخلية بين أعماق المنجم وصخوره وسررنا بمشاهدة الفنيين العاملين فيه من الشباب السعودي المؤهل الذين هم أمل المستقبل وبعد ذلك قمنا بزيارة لمنازل بعض الأهالي الذين وجدنا منهم كل ترحيب وتكريم ولا غرو فالكرم من خصائصهم المميزة .

كما اطلعنا على عدد من المشاريع والنهضة التي تنعم بها المحافظة وتزين مدينة القويعية وشكرنا المحافظ وكافة العاملين في خدمة هذا الوطن المعطاء وتحية للجميع من محافظ وأعيان ومسئولين كل الشكر والامتنان والدعاء لهم بالتوفيق والنجاح.. وبعد تلك الجولة والزيارات ودعنا هذه المنطقة الغالية من وطننا العزيز والنفس مفعمة بالحب والشوق لها.

في وادي الدواسر

الرحلات مصدر من مصادر المعرفة وبلادنا حافلة بالمجد والتاريخ والتراث ففي مدنها تاريخ وتراث وفي صحرائها ربيع واخضرار وفي واحاتها وسهولها ورياضها صفاء ونقاء ووادي الدواسر من مناطق بلادي الغالية وقد حباها الله بخصوبة تربتها وغزارة المياه، وبدعوة كريمة من الصديق عبدالله بن أحمد الشدي ففي مساء يوم الأربعاء ١٤٢٨/٤/٢٢هـ توجهت مع مجموعة من الأصدقاء وكان لهذه المنطقة صورة تاريخية وحضارية في أذهاننا وثقافاتنا تراثاً وتاريخاً، وقد انطلقت بنا الطائرة من الرياض إلى الوادي وحطت بنا الطائرة الميمونة وقد كان في استقبالنا أنجاله النجباء الذين رافقونا إلى مزرعته العامرة بأنواع النباتات والمنتجات الزراعية المتنوعة وما أجمل البذل في مجالات الزراعة المفيدة وفي جنبات تلك المزارع شاهدنا منشآت زراعية واسعة ومعدات جبارة هائلة ولقد ملأنا العين وسرحنا النظر في هذا الوادي وقراه المتناثرة والمزارع الخضراء وفي المساء كان حفل السمر والخطب والقصائد والمساجلات الشعرية، حيث كان من بين رفاق الرحلة شعراء ورواة فكانت فرصة للمطارحات الأدبية، وفي الصباح قمت بجولة في ربوع الوادي الذي تحفه الرمال والصحارى والجبال والمزارع والدواسر نسبة إلى قبيلة الدواسر المشهورة ومن أسمائه العقيق وعقيق تمره وعقيق بني عقيل والوادي ولقد قيل:

وجز في ممرات العقيق مفردا ... وفي صوتك البشرى تنادي بني دسر

ومن مدنه الخماسين واللدام والقويز والنويعمة وتمره والولامين وغيرها، كما قمنا بزيارة حافلة إلى عدد من الأمكنة الآثارية كقرية الفاو الأثرية وهي تبعد عن السليل مائة كم، وهي أهم قرية أثرية في وسط الجزيرة العربية، وقد قامت فيها مملكة كندة المشهورة ولها دور تجاري هام منذ أكثر من ألفي عام وهناك بعض القلاع والحصون في الخماسين وفي نزوى ولقد بذلت هيئة

السياحة جهداً في تقديم وادي الدواسر كوجهة سياحية واستثمارية بما يضمه من مقومات النجاح، ولقد ذكر الهمداني الكثير من الآثار والمعالم ومناجم الذهب والمعادن وأودية الوادي كلها مناطق زراعية بالنخيل والفواكه والخضروات والقمح ولقد تغنى الشعراء بها في الجاهلية والإسلام وما زال أبناؤها يبدعون القصائد والأشعار وكل أجناس الأدب وكل ما يحث على مكارم الآداب وسمو الأخلاق ولقد أمضينا أوقاتاً ممتعة مع نخبة من الأدباء والشعراء تبادلنا فيها أحاديث السمر والقصص التاريخية والروايات الأدبية الشيقة والمساجلات الشعرية وكان صديقنا محمد الشرهان يتحفنا بالقصص والروايات وفنون السامري ولا شك أن الرحلات الجماعية تضيف سعادة وأنساً لا يتحققان في الرحلات الفردية فبجانب ما استفدنا منه في الإطلاع على جزء غال من وطننا وما يحفل به من مواقع حضارية وتاريخية وتراثية فإن أعضاء الرحلة قد عادوا وهم أكثر إلفة وأجمل صداقة وأوثق علاقة والدعوة المشكورة من صديقنا أبي أحمد الشدي الذي بذل جهداً كبيراً ملحوظاً في رعايتنا وتوفير كل أسباب الراحة لنا وزيارة معالم الوادي وآثاره ونهضته الحضارية.

وفي مساء اليوم الثالث للزيارة تأهب الجميع للاتجاه صوب المطار مردداً قول الشاعر:

أشوقا ولما يمض لي غير ليلة فكيف إذا جد المسير بنا شهرا

في ربوع القصيم

الرحلات مصدر من مصادرا لتاريخ والمعرفة، وكم يود المواطن رؤية مناطق بلاده وزيارتها والتجول في رحاب هذا الوطن ليشاهد ما يمر به من نهضة وتطور ورقي وعمران وتنمية في المجالات كافة .

وقد دعيت للمشاركة في ندوة اللقاء العلمي للجمعية التاريخية السعودية المنعقدة في منطقة القصيم تحت عنوان (تاريخ القصيم وحضارته عبر العصور)، وفي صباح يوم الاثنين الموافق ١٤٢٩/٥/١٤هـ غادرت الرياض متوجهاً نحو مدينة بريدة حاضرة المنطقة التي تبهر الزائر بسباقها مع الزمن وتطورها العمراني .وتوجهنا صوب فندق (موفنبيك) حيث التقينا بالإخوة المشرفين على اللجان المنظمة كاللجنة الإعلامية ولجنة الاستقبال ولجنة ترتيب الجلسات، وقد وجدنا منهم كل حفاوة وترحيب .وفي الساعة الثامنة مساء كان التحرك إلى جامعة القصيم لحضور حفل الافتتاح برعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز أمير منطقة القصيم، وقد كان في استقبال المدعوين معالي الأستاذ الدكتور خالد بن عبدالرحمن الحمودي مدير الجامعة وهو على جانب من دماثة الخلق ومكارم الأخلاق. ولقد اشتمل الحفل على كلمة رئيس الجمعية الدكتور عبدالله الزيدان وكلمة أخرى لمعالي مدير الجامعة، ثم تكريم معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الباحث والمؤرخ والرحالة، ثم قمت بعد ذلك بإلقاء قصيدة تحية لهذا اللقاء العلمي وللقصيم ومدنه ورجاله مطلعها:

حي القصيم منارا في أصالته جنانه الخضر فيها الحسن منتصبا

وهي تزيد على خمسين بيتاً. وبعد ذلك تناول الجميع طعام العشاء في ضيافة جامعة القصيم، هذه الجامعة الفتية وبمبانيها الشامخة ذات التصميم

الجميل، وجمال منشآتها ومبانيها وحدائقها. ثم غادرنا الجامعة نحو الفندق استعداداً ليوم حافل من الجلسات العلمية في قاعة الفندق، إذ عقدت تسع جلسات كلها عن تاريخ القصيم وحضارته عبر العصور وركائز نهضته العلمية، وعن معجم بلاد القصيم الجغرافي والمنشآت المائية على دروب الحاج المارة بالقصيم، ودراسات آثارية وتاريخية ومعمارية، والرحلات والإجازات العلمية لعلمائه، وأثر قبائل القصيم في الأمصار الإسلامية وبنو عبس في الأندلس نموذجاً، وتاريخ عمران مدنه وتطور حجم سكانها، وكذلك وادي الرمة وأثره في نشأة المراكز الحضرية القديمة في القصيم، والمنشآت المائية في منطقة عيون الجواء بالقصيم، والرحالة الأجانب الذين زاروا هذه المنطقة، إلى غير ذلك من البحوث التاريخية. كما جرى تنظيم جولات ميدانية في المنطقة وزيارة بعض المحافظات والاطلاع على بعض المعالم كالمتحف والبرج والمركز الحضاري ومؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- ومركز ابن صالح الثقافي.

كما تناول الجميع وجبة عشاء في ضيافة الشيخ /إبراهيم بن عبد العزيز الربدي في منزله، وكانت ليلة ثقافية حيث الكلمات والقصائد الشعرية .

لقد سعدت كثيراً بما شاهدته في هذه المنطقة من تطور وازدهار في كل منشآتها ومدنها ومراكز العلم والمعرفة والمراكز الثقافية الحضارية في مختلف مدنها ومحافظاتها وكذلك الأعمال الخيرية والإنسانية والاجتماعية. فتحية لهم جميعاً ولكل من يخدم هذا الوطن ولكل من بذل وأعطى من أهل الخير ورجال الأعمال في أي موقع .

حقاً لقد كان هذا اللقاء التاريخي مفيداً حيث فتح باباً أمام الباحثين والمؤرخين في مجالات تاريخية وإثراء هذه الأبحاث والدراسات في تاريخنا الوطني وفي جوانبه كافة. حقق الله الآمال ووفق الجميع. ودام وطني بالعز والأمن مزدهراً.

عنيزة ومهرجان الغضا

تلبية لدعوة كريمة من سعادة محافظ عنيزة الأستاذ مساعد بن يحيى السليم وبصحبة الصديقين الأستاذ حمد القاضي والأستاذ عبدالعزيز الخريف لزيارة متنزهات الغضا ذات المناظر الخلابة، وعند الوصول كان الإخوة في العلاقات العامة في انتظارنا في فندق الواحة، حيث غمرونا بحفاوتهم وترحيبهم، وبعد استراحة في الفندق توجهنا نحو بيت التراث، حيث التقينا بصاحبه الأخ إبراهيم الحمدان، حيث تجوّلنا في عدة غرف ومواقع في أرجاء البيت، ثم انتقلنا لزيارة سعادة المحافظ المهندس مساعد السليم، فتحدث إلينا عن عنيزة وعن المهرجان وعن وضع عنيزة السياحي والاقتصادي والفرص الاستثمارية الواعدة التي تحظى بها المحافظة.. والتقينا عنده بالإخوة الأفاضل العاملين بلجنة التنمية السياحية وغيرهم من الإخوة الذين كلّهم حماس وترحيب ونشاط، وبعد ذلك قمنا بجولة بصحبة سعادة المحافظ ومع مجموعة من شباب الأعمال القادمين من جدة والرياض والشرقية في جولة امتدت وقتاً ممتعاً وسط متنزهات الغضا وعشرات المخيمات المتناثرة على جانبي طريق الروضة ومشاهدة المعالم السياحية في منطقة الغضا، حيث الطقس الجميل والمناظر الخلابة وواحات النخيل.. ثم وصلنا مقر الحفل حيث كانت نغمات العرضة السعودية، واحتوى الحفل على ألوانٍ شعبية وعروض متعددة، شاركت فيها كلٌّ من دار عنيزة للتراث ودار الفنون الشعبية وتميزت بالأداء الرائع الجميل ما بين العرضة السعودية والحوطي والناقوز وسامري عنيزة المشهور وفرقة جازان. وفي نهاية الحفل ألقيت كلمة عبرت فيها عن الإعجاب بهذا المهرجان الزاخر بألوان الفنون والآثار والنشاط والذي يجسد وهج الماضي وأمجاد التاريخ وعبق الذكريات الخالدة.

إنها ليلة بعرسها الكل نشوى عطرها دغدغ النفوس وفاحا

ومن حق هذا المهرجان وما شاهدناه فيه أن نثني عليه وعلى الثمار التي أنجبها وعنيزة وطن فيه أوفياء يزرعون الأرض بالمروءات، وتوجهنا بعد ذلك لتناول طعام العشاء في مخيم البلدية، حيث استقبلنا القائمون عليه بكل محبة وبشاشة وترحيب. وفي اليوم الثاني قمنا بزيارة بعض المناطق التي تحتوي على مراعي الإبل في وسط النفود، حيث تكتسي رمال النفود الذهبية بخضرة الأعشاب والنباتات البرية المتنوعة، ثم توجهنا نحو متحف عنيزة الأثري (بيت البسام) ومركز الملك فهد الحضاري وغير ذلك من المعالم والمناطق والآثار التي زهت بهجة وفاضت جمالاً.. وفي مساء اليوم لبينا دعوة الصديق المربي عبدالرحمن العليان. لقد كان هذا المهرجان لوحة جمالية والزيارة له لحظات جميلة، حيث تحول إلى واحة غناء تجذب الزوار ولكم تذكرت أقوال الشعراء في شجرة الغضا ومن ذلك قول مالك ابن الريب:

وليت الغضا لم يقطع الركب دونه وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

وعنيزة مدينة يحبها أبناؤها ويتفانون في خدمتها، وهي مدينة الشعر والثقافة والإبداع.. ولقد وجدت فيهم حماساً واهتماماً بتسويق مدينتهم سياحياً واقتصادياً ولقد تذكرت وأنا أتجول في رحابها قول أمين الريحاني حيث سماها باريس نجد كما أن عدداً من الرحالة والمستشرقين كتبوا عنها أمثال سادلير وفلبي وداوتي وغيرهم كما أنها في الواقع منجبة للعلماء والشعراء والأدباء والاقتصاديين. إن في بلادنا إنجازات ومناطق سياحية جميلة ومواقع تاريخية رائعة وهناك أشياء كثيرة في بلادنا جديرة بالعناية والاهتمام، حيث تمتاز بالروعة والجمال. حقاً كم نحن في حاجة إلى أن نتعرف على بلادنا ومعالمها وأعلامها وآثارها ومناطقها السياحية وأمجادها التي شغلت الباحثين والرحالة والدارسين والمستشرقين قديماً وحديثاً.

حيث اهتموا بالزيارة والكتابة عن المرابع والديار والمنازل والنجاد والرياض والغدران. ومن يقرأ كتاب: (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من

الآثار) و(المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) الذي حصر جل تلك الأسماء سيجد القارئ فيضاً غزيراً من الأماكن والمناطق في هذه البلاد، وأن من يرجع إلى التاريخ سيجد أمجاداً وتراثاً ومنتجعات فسيحة رحبة سواء في مرابع نجد أو جبال وغابات السراة وتهامة أو في سواحل الحجاز ووديانه أو غير ذلك مما ألهب مشاعر الشعراء وكوامن الأشواق فيهم، وعسى أن نرى مهرجان الغضا المقبل مفعماً بمزيد من الفعاليات وختاماً:

لك يا عنيزة في الفؤاد محبة أصفى من الماء الزلال وأعذب

وتذكرت قول الشاعر صالح بن ناصر وأنا أتنقل بين أرجائها وأتجول في ربوعها:

هذي عنيزة يا لها من ساكن طابت بغرس يانع وقصور

أكرم بها من بلدة ميمونة حوت المكارم من قديم عصور

رحلة إلى البدائع

استأثر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً وعني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ إذ الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية، ويطيب لي أن أكتب عن رحلة قمت بها لمنطقة القصيم، ففي صبيحة يوم الخميس الموافق ١٥- ٥- ١٤٣٠هـ توجهت مع مجموعة من الأصدقاء وهم المشايخ محمد وحمد بن عبدالعزيز الجميح والأساتذة صالح السالم وعبدالإله آل الشيخ وعبدالله العليان وعبدالله البيز وفيصل الذيابي ومشعل السالم وحسن الحارثي وعايض الشيباني صوب منطقة القصيم الزاهرة العامرة والحافلة بالمواضع والمعالم التاريخية والمواطن الأثرية الموغلة في العراقة والأماكن الجغرافية التي استثارت خيال الشعراء وأوحت بروائع أدبية خالدة للأدباء والشعراء فحبروا فيها القصائد وتغنوا بتلك المواطن التي نبت الشعر العربي فوق روابيها ووهادها واستوى في مرابعها. ومن القصيم خرج الشعراء الكبار في قديم الزمان وحديثه كزهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير وعنترة وبشر بن أبي حازم وكذا العوني والقاضي وغيرهم. وفي أجزاء من القصيم دارت معارك العرب التاريخية التي كانت وما تزال تغني الأدب بأشعار البطولة ومعاني الفروسية مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء. لذلك كله وأنا أتجول في ربوع القصيم قلت إن منطقة القصيم جديرة أن يهتم بها المؤرخون وأن يبحث في آثارها الباحثون وينقب في تاريخها المنقبون والأثاريون وهي جزء غالٍ من بلادنا حرسها الله. ومنذ خروجنا في الصباح الباكر ونحن نتحدث عن تاريخ بلادنا ونهضتها الحضارية، فمررنا بمدينة سدير الصناعية والتي دشنها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض منذ أسابيع في حفل رائع بهيج نظمته هيئة المدن الصناعية حيث أشار سموه في كلمة ضافية جمعت بين الجغرافيا وتاريخ

منطقة سدير، وموقع المشروع وأنه كان عبارة عن صحراء ومكان للصيد واليوم سيصبح مدينة صناعية، وخلال مرورنا بهذه المنطقة تحدثت للإخوة عن تاريخ هذه المنطقة ومدنها وقراها، حيث كانت منطقة سدير تشكل منطقة مهمة في تاريخ اليمامة .

وبعد أن قطعنا ٣١٨ كيلا لاحت لنا معالم القصيم حيث الكثبان الرملية ووادي الرمة والمزارع، ثم مدينة بريدة التي تقع على الجانب الأيسر من وادي الرمة وهي مدينة كبيرة ومزدهرة واشتهرت بالعقيلات وهم تجار ورحالة ينتقلون من مكان إلى آخر وإلى الشام ومصر وقد تحدث عنهم الأستاذ إبراهيم المسلم في كتاب «العقيلات» . وقد ورد ذكرها في كتب الرحالة والمؤرخين، ولقد أوحت إلي معالم القصيم الحافلة بقصيدة مطلعها:

روابيك أعطاها الإله جمالها وزانت مغانيها جمالاً وألحاناً

وما أكثر ما قيل في عنيزة وبريدة وسائر مدن القصيم من القصائد والأشعار ولكن المقام لا يسمح بذكر ذلك، ومررنا بعدد من القرى والمزارع والبساتين، ولقد قلت في القصيم قصيدة بمناسبة اللقاء العلمي للجمعية التاريخية السعودية في جامعة القصيم:

إن القصيم لأرض المجد من قدم يروي لنا المجد والتاريخ والحسبا

وهي قصيدة طويلة، ثم توجهنا نحو مدينة البدائع ووجدناها مدينة جميلة في شوارعها وميادينها ربيع واخضرار وفي واحاتها وسهولها وبساتينها جمال وصفاء ونقاء، ثم ذهبنا إلى منزل آل المنيف، حيث كنا مدعوين لديهم، فوجدنا الاستقبال والحفاوة والترحيب من قبلهم، ثم ألقيت بعض الكلمات والقصائد وألقيت قصيدة تحية للقصيم وأهلها مطلعها:

حي القصيم مناراً في أصالته جنانه الخضر فيها الحسن منتصبا

إلى رباه أزف الحب أغنية وأسكب الشعر شوقاً زانه أدبا

هذا القصيم به الآثار شامخة تروي لنا المجد والتاريخ والحسبا

جئنـا القـصيم وقـد نادانـا أحبتنـا قـد حقـق الله فيمـا نبتغـي الاربـا

وما أكثر الجوانب التاريخية والجغرافية والثقافية لهذه المنطقة .

وبعـد جولـة في ربوع القـصيم، ودعنـا تلـك المنطقـة ذات الماضـي المجيـد والحاضر المتجدد.

وبعـد فالمقـام لا يتـسع لعـرض مـا سـعدنا بـه أو ذكـر كـل مـا تمتعنـا بمشاهدته مردداً قول الشاعر العربي:

سـقى الله مـا يحـوي القـصيم وحيـاه فمـا أطيـب الأيـام فيـه وأهناهـا

نزلنـا بـه فاسـتوقفتنا محاسـن يحـن إليـه كـل قلـب ويهواهـا

في عيون الجواء وقصيباء

بدعوة كريمة من رئيس مركز قصيبا راضي بن عبدالرحمن الراضي الحقيل وابنه فهد عام ١٤٢١هـ توجهت مع مجموعة من الإخوة صوب بريدة ومنها إلى عيون الجواء ثم قصيبا وسارت بنا السيارة عدة ساعات يدفعنا الشوق لزيارة هذه المناطق والتجول في رحابها ووهادها وبساتينها ووصلنا عيون الجواء وهي بلدة تاريخية لما تملكه من تراث جغرافي وتراثي وتاريخي يعود إلى حقب طويلة من الزمان وسميت عيون الجواء بهذا الاسم نسبة إلى عيونها المدرارة سابقاً ومائها الوفير في الجاهلية والإسلام وطريقاً لري المسافرين على مر العصور وزادت أهميتها لوقوعها على طريق حاج البصرة وهي تضم العديد من المقومات السياحية حيث تزخر بثروة معمارية وآثار تعد الأقدم في المنطقة.

ومن أشهر عيونها عين عبس نسبة إلى القبيلة التي استوطنت الجواء ومررنا بعدد من العيون إلا أن جميعها نضبت ولم يبق منها إلا بعض الآثار وبعد جولة في ربوع عيون الجواء توجهنا نحو قصيبا وتجولنا في مرابعها ومزارعها وآثارها ومعالمها ومن ذلك موقع رامة التي ورد ذكرها في الشعر العربي وقد حددها صديقنا الشيخ محمد العبودي بأنها في الجهة الجنوبية من عنيزة إلى الجنوب الشرقي من الرس وإلى الجنوب من البدائع وقال جرير:

حي الغداة برامة الأطلال رسما تحمل أهله فأحالا

كما كانت فرصة للتجوال في تلك المناطق الآثارية والتاريخية ومعالم البلدة الحضارية وزيارة عدد من بيوت أهلها الذين يتميزون بكرم الضيافة وحسن المقابلة وغادرناها ونحن أكثر شوقاً لها .

ومن قصر الرصافة للقصيباء رأينا كل أنواع الجمال

في مراتع حاتم الطائي

كانت مغادرة الرياض في يوم ١٥/٤/١٤١٠هـ في رحلة إلى تبوك عن طريق حائل عروس الشمال، فكانت فرصة لزيارة هذه المدينة التاريخية والتي تعرف قديماً بالجبلين وهما أجا وسلمى، ولقد قرأت عنها الكثير مما كتبه الرحالة والمؤرخون والمستشرقون الذين مروا بها ووصفوها كاملاً وجبل أجاهو أهم موقع في حائل حيث ورد ذكر حاتم الطائي في كتب الأقدمين وموضع قبره وآثاره ولقد أشار إلى ذلك عدد من المؤرخين والباحثين الذين وفدوا عليها وتناقلوا أخبارها كالهمداني ٣٣٤هـ في كتابه "صفة جزيرة العرب" والأصفهاني ٣١٠هـ في كتابه "بلاد العرب" وأبو علي الهجري في أبحاثه في تحديد المواضع وياقوت الحموي ٦٢٦هـ في معجم البلدان والبكري ٤٨٧هـ في معجم ما استعجم وغيرهم ومن المحدثين محمد بن بليهد وحمد الجاسر والليدي أن بينت في كتابها رحلة إلى بلاد نجد عام ١٢٩٧هـ، وحافظ وهبة وفؤاد حمزة وغيرهم، ولقد ارتبط أجا وسلمى تاريخياً بقبيلة طي ولقد كان يوماً جميلاً ممتعاً حيث قمت بجولة في ربوع هذه المدينة ومعالمها وأماكنها التاريخية حيث عاشت في هذه الأماكن قبيلة طي التي انحدر منها حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم كما عاش فيها زيد الخير والطرماح بن عدي وعدد من الشعراء والأبطال وذكرها امرؤ القيس في أشعاره بعد أن لاذ بها إثر مقتل أبيه ولقد ورد ذكرها في الشعر العربي القديم كقوله:

تبيت لبوني بالقرية آمنا وأسرجها غبا بأكناف حائل

وهي اليوم تعيش نهضة حضارية وعمرانية كغيرها من مدن المملكة وتغيرت ملامحها واتسعت رقعتها وأصبحت مدينة حديثة مزدهرة ويقول أحد الشعراء:

يا حائل المجد كم مجد سمحت به تندى الشواهق من تذكاره ارجا

مازال حاتم يقري الضيف ماتركت نيران حاتم في ليل الضيوف دجا

إنها منطقة واسعة ذات قرى ومزارع وسكان وتاريخ وآثار وواحات زراعية ونهضة حضارية وعمرانية واقتصادية وصناعية ومنطقة جذب سياحي حيث المناخ الملائم والمرافق والأماكن السياحية ويعد جولة في ربوعها غادرتها حاملاً أجمل الذكريات مردداً ما قاله غازي القصيبي:

يا حائل المجد كم مجد شمخت به تندى الشواهق من تذكاره أرجا
ما زال حاتم يقري الضيف ما تركت نيران حاتم في ليل الضيوف دجا

وقول زيد الخيل:

سقى الله ما بين القفيل فطابة فما دون أرمام فما فوق منشد

ومن شعر صديقنا عبدالرحمن السويداء في جوهرة الشمال:

وجوهرة الشمال قد اشمخرت بسفح أجا يشع لها بريق
بحيط بها بساط سندسي حقول القمح والزهر الأنيق
هنا بقباء شامخة تهادى تطاول باللوى إرث وتيق
وتلك الروضة الفيحاء تسمو برمان توثبها طليق
وجبة من ذرى الإنفاد ترنو يدافعها تحفزها الرفيق
وموقق يشرئب الجيد منها بفوطتها العراقة تستفيق
فقار زادها التاريخ مجدا وقصر العشروات لها لصيق

بين مدن المنطقة الشرقية

تشكل المنطقة الشرقية مركزاً حضارياً واقتصادياً وقد كان لهذه المنطقة تاريخها القديم الضارب في أعماق التاريخ ولقد حبا الله هذه المنطقة بالعديد من المميزات والخصائص فهي موقع إستراتيجي هام وهي أرض الخير التي تفجرت بواطنها بكنوز الذهب الأسود، ولقد زرت هذه المنطقة مرات كثيرة وكانت أول زيارة سنة ١٣٧٦هـ وهذا الجزء الحبيب من وطننا كلما زرته كان مصدر امتاع وراحة وصفاء ذهن وارتياح نفسي، واستجابة لدعوات كريمة ثقافية واجتماعية كان السفر إلى الدمام والظهران والخبر والجبيل ورأس تنورة والقطيف والخفجي ودارين وسيهات والثقبة وغيرها من مدن المنطقة وهذه المنطقة موقع مهم وتاريخ عريق وأرض الخير والجود والأصالة التاريخية وهي تبعد عن العاصمة الرياض ٤٣٠ كيلاً ويربطها بالرياض سكة الحديد التي أنشئت سنة ١٣٧١هـ.

والدمام بلدة تاريخية عمرت قديماً ثم عمرها الدواسر سنة ١٣٤٢هـ وهي اليوم قاعدة المنطقة مدينة شامخة تحفل بالإنجازات والمشروعات والتنمية الحضارية ومعطيات الخير والتطور والتقدم وكل مدن المنطقة الشرقية تزدهر بالنهضة والعمران وفي الظهران مركز شركة أرامكو السعودية ولقد ورد ذكر الظهران في أقوال الشعراء والمؤرخين حيث ذكرها الهجري وياقوت وقال الشاعر بن المقرب:

والخط من صفواء حازوها فما ابقوا بها شبرا إلى الظهران

والظهران هي منبع البترول أما الخبر فقد قالوا عنها قديماً أنها بلدة اللؤلؤ والمرجان ولقد تطورت اليوم وازدهرت بعد انتشار المشاريع والمباني الحديثة بها وبجوارها المنتزهات والشواطئ الجميلة كخليج نصف القمر وشاطئ الغروب ومدينة الملك فهد.

إن المنطقة الشرقية زاهية بحضارتها ورقيها وبشموخها الحضاري ومعطيات الخير والرفاهية والازدهار حيث المراكز التجارية والجامعات والمعاهد ومليئة بشواهد الإنجازات وأصبحت الشرقية منتجعاً سياحياً ومورداً اقتصادياً مما قفز بالمنطقة إلى آفاق واسعة وخطوات سريعة بحيث أصبحت اليوم تنافس المواقع السياحية الأخرى حيث تزداد بالواجهات البحرية الجميلة على ضفاف الخليج وخلال جولاتي في ربوع الشرقية ومدنها لاحظت أنها تتميز بحلة من الجمال الطبيعي تتمازج فيه زرقة الشواطئ بخضرة السهول حيث المنتزهات والحدائق ومدن الملاهي وإبرازها كإحدى واجهات الجمال في المنطقة بحيث تتوزع الحدائق والمنتزهات في جميع مدن المنطقة الشرقية.

وخلال زياراتي للمعالم السياحية التي تتميز بها الشرقية لاحظت جمال الواجهات البحرية في كل مدن المنطقة وقلعة تاروت والأسواق الشعبية وشاطئ نصف القمر الذي تكثر فيه المنتجعات وجسر الملك فهد الذي يربط المملكة بالبحرين، فهو اليوم يعد معلماً بارزاً على مستوى الخليج العربي، وكلما زرت هذه المنطقة وجدت عمليات التنمية تزداد رسوخاً وطموحاً وحماساً متوقداً لتألق هذا الوطن وتأسست مصانع ومراكز تجارية وقواعد صلبة لاقتصاد حديث ومنجزات تنموية لقد وصلت هذه المنطقة وغيرها من مناطق بلادنا إلى مستوى حضاري رفيع تم إنجازه عبر منهج علمي للتخطيط وصولاً إلى كيان اقتصادي واجتماعي قوي وسليم يشكل قاعدة الاستقرار والرخاء للمجتمع وتحقيق النهضة العلمية والتقنية والصناعية الشاملة في البلاد.

معالمها تبدو ملاعب جنة وأنشودة للأمس قد كملت جرسا

الأحساء واحة النخيل والأدب

لقد قمت بزيارات متعددة للأحساء وكانت أول زيارة في سنة ١٣٧٦هـ ثم تلت تلك الزيارة عدة زيارات اجتماعية وثقافية ومناسبات متعددة للهفوف والمبرز والعقير وغيرها من القرى المتناثرة في أرجاء الأحساء وللأحساء تاريخ عريق قد انطبقت صورته في ذهني فكان لوحة ذهنية لا يغرب عن خاطري وقد ترددت في حزونه وغيطانه وقراه وضواحيه ووقفت أمام تاريخه وأعلامه وأخباره وآثاره فقد بسقت فيه النهضة مبكرة وحفل بالعلماء والأدباء والشعراء عبر أزمنة متوالية ولقد ورد ذكره في كتب التاريخ والأخبار والسير والمنازل والديار، ومدينة الهفوف كانت تدعى هجر اشتهرت بسوقها في الجاهلية وجواثا التي يوجد فيها ثاني مسجد في الإسلام.

وقد دعيت في القرن الرابع الهجري بالأحساء وكان لهذه المنطقة دور تاريخي في صدر الإسلام وتشكل رقعة زراعية في المملكة وينتشر بين واحتي الأحساء مناطق ذات كثبان رملية متحركة ولقد تتابع على استيطان الأحساء أمم كثيرة كالقرامطة والعيونيين ثم البرتغاليين والأتراك، وبنو خالد وفي عام ١٢٠٧هـ كان فتح الأحساء واستمر قوة للدولة السعودية.

ولقد كانت فرصة طيبة للقيام بزيارات لهذه المنطقة واللقاء بأعيانها وأدبائها ومؤرخيها والتجول في أسواقها وعيونها والقارة والجفر والعمران والطرف وعين نجم وأم سبعة ويقول الشاعر:

يا عين نجم فقت آبار الحسا ... بحرارةٍ وبخار ماء يصعد

وشاطئ العقير وهو من المناطق السياحية نظراً لمياهه الصافية وشاطئه الجميل، وقد كان واجهة الأحساء على ضفاف مياه الخليج وقد شاهدت بقايا من تاريخه وقد عقد أول اجتماع بين الملك عبدالعزيز وكوكس سنة ١٩١٥م بشأن الحدود بين المملكة والعراق وسمي المؤتمر باسم العقير وهناك اليوم

اهتمام بإعادة هذا الميناء من جديد وتحويله إلى منطقة سياحية .

وفي الأحساء تذكرت العلاء بن الحضرمي الذي بعثه الرسول ﷺ لإقناع حاكم هجر "المنذر بن ساوي" بالدخول في الإسلام وتلك الرسالة العظيمة التي حملها إليه وكذا بنو عبد القيس وغير ذلك من التاريخ العريق.

ولقد قمت بزيارة لآثار الأحساء كمسجد جواثا وهو أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

ومسجد الجبري الأثري في الكوت وهو من أقدم أحياء الهفوف وقصر إبراهيم وقد بني عام ٩٧٠هـ وقصر خزام سنة ١٢٢٠هـ ومشروع الري والصرف وقصر صاهود ومشروع حجز الرمال وغير ذلك، ويقول أحد شعراء الأحساء:

أيـــا أحـــساء يـــا معـــشوقتي يـا حقـول النخـل يـا روض الرطـب
واحـــة للخـــير والحـــب معـــا وهـــي أيـــضاً للمعـــالي والأدب

وواحة الأحساء منطقة زراعية معطاءة اشتهرت قديماً بزراعة الأرز والنخيل وأنواع عديدة من الفواكه.

وللأحساء ذكر عريض في التاريخ فقد حفل التاريخ بذكرها وتغنى الشعراء بمآثرها ومفاخرها وبرز منها علماء تنابعوا على مدى الأعوام وبمؤلفاتهم ومكانتهم العلمية بما هو شاهد على ما لهذه المنطقة من مكانة وبحسب القارئ أن يرجع إلى التاريخ ليرى صوراً من الذكر والمجد ومعالم بقيت على مدى الأيام فقد ذكرها الهمداني والبكري والأصمعي وناصر خسرو وياقوت والأصفهاني وابن خلدون، ولقد كانت الأحساء من المراكز التجارية الهامة وخلال زياراتي للأحساء حيث تربطني ببعض أسرها روابط صداقة ومودة وأقوم بزيارتها وأجد منهم الحفاوة وحسن الاستقبال، وقويت صلتي بكثير من العلماء والمثقفين كآل المبارك والمنقور والملحم وآل غنيم وآل جبر والعمران والمديرس والعجاجي والعبدالقادر وآل موسى والنعيم والحماد وغيرهم من أهل الفضل والخلق والمروءة وما أجمل تلك الأيام وما فيها من ذكريات وتواصل

ومودة.

وفي الختام أردد قول الشيخ محمد آل عبدالقادر:

رعى الله يوما قد طوينا نهاره بكثبان رمل زينتها الجداول

بإخوان صدق زينوا كل محفل فما منهموا إلا سخي وفاضل

في يوم ١٥/٤/١٤١٠هـ كانت خامسة تلك الرحلات إلى الأحساء واحة الأدب والنخيل.

وبعد أن سعدت بحضور فعاليات مهرجان التفوق العلمي السابع وتكريم نخبة من طلاب العلم من خلال جائزة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز للتفوق العلمي، التي هي تشجيع للمتفوقين من أبناء المنطقة طلاباً وطالبات، ولقد دعي إلى حضور الحفل طائفة من العلماء والأدباء ورجال الصحافة والإعلام وهي بحق إنجاز حضاري وتربوي رائد وخدمة سامية للعلم فقد حفزت الكثير من الطلاب إلى المثابرة والجد وروح التنافس الشريف وزيادة التحصيل والاهتمام والحرص على التفوق العلمي والارتقاء بالمستوى الدراسي فهي خدمة للعلم وطلابه وتحقيق للآمال والطموحات.

ولقد كانت فرصة طيبة تنظيم رحلة إلى الأحساء وزيارة معالمها وآثارها ومنجزاتها الحضارية والإطلاع على نهضتها ومعالمها الأثرية حيث عراقة التراث.

ولقد امضينا في رحابها وحفاوة أهلها يوماً حافلاً بزيارة جامعة الملك فيصل ومتحف الأحساء للآثار والتراث الشعبي بحيث تعرفنا من خلاله على تاريخ وتراث المنطقة وأهم مواقعها الأثرية ثم زيارة للقصور الأثرية في الأحساء كقصر إبراهيم وقصر صاهود وقصر خزام ثم توجهنا صوب (جواثا) وهي من أقدم المدن التاريخية في منطقة هجر وكان يسكنها بنو عبدالقيس ولما بزغ فجر الإسلام أرسل عليه الصلاة والسلام العلاء بن الحضرمي إلى هجر لدعوة أهلها إلى الإسلام وكانت (جواثا) مدينة قائمة في ذلك التاريخ وقد شاهدنا

مسجدها الأثري وكان ثاني مسجد في الإسلام أقيمت فيه صلاة الجمعة بعد مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة.

ثم توجه الجميع إلى قصر الإمارة للسلام على أميرها محمد بن فهد بن جلوي الذي رحب بالجمع الحافل من رجال العلم والفكر والصحافة وتبارى الخطباء والشعراء من أبناء الأحساء في الترحيب ولا غرو فالأحساء مهد الشعر وموطن الأدب وبعد تناول طعام الغداء شكر الجميع سمو الأمير على حفاوته وتكريمه ثم توجهنا صوب هيئة مشروع الري والصرف بالأحساء وهو أحد المشاريع الزراعية الهندسية المتميزة في مسيرة النهضة الزراعية في المملكة، ولقد سعد الجميع بتولي إدارة هذا المرفق نخبة وكفاءات وطنية كما شهدنا المعرض الزراعي وما يحفل به من إنتاج زراعي عظيم من الخضار والفواكه والتمور ولقد عرفت الأحساء بجودتها ولقد ابتهج الجميع بهذا الإنتاج الوطني وبهذه النهضة الزراعية وغزارة الإنتاج وتحقيق الأمن الغذائي، إن التطور التنموي مستمر والمعطيات والإنجازات سائرة بفضل الله إلى الأفضل.

عيون الحسا ماء الحياة نميره ... إذا ما جرى يستنبت الزرع والغرسا
بها جبل ما جاءه من مقيظ ... أضرت به الرمضاء إلا اشتهى اللبسا

في مدينة الجبيل

سعدت بحضور فعاليات مهرجان التفوق العلمي التاسع وتكريم نخبة من طلاب العلم من خلال جائزة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز أمير المنطقة الشرقية والتي هي تشجيع للمتفوقين والمبدعين طلاباً وطالبات ولقد كانت فرصة طيبة حيث جرى تنظيم رحلة إلى مدينة الجبيل وزيارة معالمها ومنجزاتها الحضارية حيث أمضى الجميع من ضيوف الجائزة من رجال العلم والأدب والفكر والإعلام والتربية وأساتذة الجامعات يوماً حافلاً وازددنا فخراً وإعجاباً بتطور الصناعة السعودية وقد قام مدير عام الهيئة الملكية بالجبيل بشرح داخل المعرض المعد حيث شرح على الصور بداية العمل يوم كانت هذه المنطقة عبارة عن كثبان رملية وصحراء جرداء.. ولقد سبق أن زرتها في عام ١٣٧٥هـ وكانت قرية صغيرة محدودة ولقد شاهدنا اليوم نهضة حضارية سامقة وأصبحت مدينة صناعية تتمركز صناعاتها وإنتاجها في مختلف البلدان والأسواق العالمية ولقد شرح بإسهاب مدير الهيئة بأن الجبيل الصناعية تنقسم إلى عدة أقسام منطقة صناعية وأخرى أساسية حيث تتمركز الصناعات البتروكيماوية في قسم الصناعات الأساسية وقام الجميع بعد ذلك بجولة في أرجاء المنطقة السكنية حيث المناظر الخلابة والشواطئ والمنتزهات والغابات والرمال الجميلة الصافية فهي تتمتع بشواطئ رملية وبحرية ممتازة كما تتوافر فيها اليوم المنتزهات الجميلة مما يؤهلها لأن تصبح مدينة سياحية فقد شاهدنا مناظر خلابة ورواب جميلة الأفياء تماثل ما يوجد في البلدان السياحية الأخرى.

كما قمنا بزيارة لشركة (صدف) إحدى الشركات السعودية للصناعات (سابك) وقد كان في الاستقبال شابان سعوديان على جانب من الثقافة

والوعي بعملهما وهما حمد الماضي وعبدالله العساف حيث قدما شرحاً عن الشركة وما تنتجه من مواد مختلفة يتم تصديرها إلى البلدان الخارجية ويقوم الشباب السعودي بدور كبير في عملية التشغيل واستيعاب أحدث التقنية وهو شيء يدعو للاعتزاز والفخر بشبابنا السعودي، ولقد أصبحت الجبيل محوراً للصناعات ومقراً للشركات البتروكيماوية وعلى رأسها سابك.

ولقد كانت زيارة جميلة لهذه الصروح الاقتصادية وهذه المدينة الجميلة حيث سعدنا بمشاهدة المنجزات الحضارية والتي تعد فخراً لكل مواطن .

رحلة إلى العلا ومدائن صالح

تحتل مدينتا العلا والحجر مدائن صالح موقعاً جغرافياً فريداً وقد أهلها هذا الموقع لأن تقوما بدور فعال في التقاء المراكز الحضارية ومدينة العلا تعتبر قاعدة لعدد من القرى وهي من أشهر بلدان وقرى الوادي المعروف باسم وادي القرى، ولقد حرصت على زيارة هذه المنطقة التي سطر لها التاريخ ذكراً وعاشت في رحابها أمم ودول وزارها سيد الخلق عليه الصلاة والسلام حاملاً راية الإسلام – وقد غادرت المدينة المنورة بتاريخ ١٤١٢/٦/١٥هـ متوجهاً إلى العلا مع مجموعة من الأصدقاء وهي تبعد عن المدينة المنورة حوالي ٣٨٠ كيلاً – وكنا نردد ما قاله الشعراء عن وادي القرى وهذه المنطقة ونستعرض من سكنها من الأمم ومن ذلك قول الشاعر:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى إني أذن لسعيد

وقد ورد ذكره في السيرة النبوية وفي فترة صدر الإسلام وعند المؤرخين المسلمين واشتهر بمزارعه الكثيرة ولقد زارها العديد من الرحالة والمؤرخين وتعد كتاباتهم مصدراً من المصادر التاريخية المهمة وتشمل سجلاً شاملاً ومادة علمية تساعد الباحثين في التعرف على جوانب كثيرة من تاريخ هذه المنطقة العلا – ومدائن صالح عاصمة الأنباط بعد البتراء ويوجد في آثار هذه المنطقة وكتاباتها اللحيانية والمعينية التي تفرعت من الخط المسند ويرى المؤرخون أن الحجر هي موضع الخريبة اليوم وقد عثر على الكتابات الثمودية في النقوش الموجودة – وخلال التجول في هذه المنطقة التاريخية شاهدنا الآثار والنقوش ومحلب الناقة المنحوت من الصخر والبيوت والمقابر وكتبت كتاباتها بالخط اللحياني عند مدخل كل بيت كما زرنا المابيات جنوب العلا وبها قلاع وآثار وأطلال وكانت محطة للأمويين ثم للعباسيين وتذكرت قول الشاعر:

رأيت قرى وادي القرى في مسيرنا وبنيانها طوب ومن تحته حجر

ولقد رأينا عدداً من السائحين ممن حضروا لزيارة هذه المنطقة وأغلبهم من خارج البلاد حيث كان الجميع في زيارة الحجر التي تمتلئ بالآثار مثل المقابر والكهوف والقصور وشاهدنا بعض الكتابات الأثرية والآثار الثمودية وكم تذكرت قول الله تعالى وأنا أتنقل بين هذه الآثار: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [الشعراء: ١٤٦ – ١٤٨].

ثم قمنا بزيارة لبعض معالم العلا وعيونها وآثارها وقلاعها وكنت أقول: في روابيك كم تغنت نفوس وعاشت أمم وبقيت ترمز إلى تاريخ وموروثات أثرية وحضارية وكم وصفها الرحالة والمؤرخون كمنطقة أثرية تشغل حيزاً كبيراً من تراث بلادنا.

وبعد جولة وتمضية يوم كامل في أرجاء العلا عدنا إلى المدينة المنورة وخلال الطريق كان الحديث عن هذه المنطقة التاريخية وآثارها وذكريات التاريخ والشعر والماضي السحيق وتذكرنا ما مرت به من دهور وقرون وأيام وحضارات وبعد فإن ذكريات التاريخ تترى أمام المرء وهو يتجول في مثل هذه المناطق والأماكن ولشد ما برّحت الذكريات قلب المرء حينما يستعرض التاريخ والتعرف على جوانب كثيرة من الآثار والتاريخ ومن حديث إلى حديث عدنا إلى المدينة المنورة مردداً قول الشاعر:

ارحل وشاهد به ما قد سمعت به شتان عندي بين الخبر والخبر

الجوف حضارة وتاريخ

في يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٢/٣/١٥هـ كان السفر إلى الجوف وكنا نشاهد من خلال الطائرة مناظر المزارع والكثبان الرملية واستعرض ما قرأته عن هذه المنطقة في كتب التاريخ وما كتبه فيلبي عن هذه المواضع والأماكن وما كتبه الشيخ حمد الجاسر وغيره.

وبعد الوصول إلى هذه المنطقة العامرة بطبيعتها وكرم أهلها حرصت على زيارة المواضع الأثرية حيث ذهبنا لقصر مارد ومشاهدة الحصن الذي يطل على الأمكنة الواقعة حول الجوف ومرتفع ارتفاعاً شاهقاً ولقد جدد عدة مرات ويني بجواره بعض القصور وبعد مشاهدة الحصن وما حوله مررنا ببعض الحدائق والمزارع ذات المياه الغزيرة حيث أن هذه المنطقة تتميز بوجود مصادر جوفية غزيرة وقد أقبل المواطنون بكل همة ونشاط على الزراعة وتربية الأغنام وزراعة النخيل والزيتون والفاكهة، والبرسيم ثم توجهنا من دومة الجندل إلى سكاكا التي تبعد حوالي خمسين كيلاً وبعد الوصول إليها كان التجوال في داخلها ومشاهدة مظاهر النهضة الحضارية فيها وهي مدينة حديثة.

وكم كنت أردد ما قيل عن بلاد الجوف من شعر والمثل المعروف "تمرد مارد وعز الأبلق" وينسب للزباء ملكة تدمر التي غزت دومة الجندل فاستعصى عليها فتح حصنها ما رد فقالت المثل والزباء عاشت في القرن الثالث الميلادي ولقد تحدث ابن خلدون عن دومة الجندل وقبائل قضاعة وتذكرت قول الشاعر:

الجوف أخضر واخضرت مرابعه كأنه لاخضرار فيه بستان

كما فتحها القائد العظيم خالد بن الوليد وأسر أميرها وجاء به إلى النبي ﷺ وبقيت رئاستها في بني كلب وكان للرومان صلة بهذه المنطقة، وفي سنة تسع من الهجرة بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد لفتحها وقد قدم بأميرها الأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية وخلى

سبيله، وما أكثر ما تحفل به كتب التاريخ كتاريخ ابن جرير والطبري وسيرة ابن هشام، والطبقات وغيرها عن تاريخ هذه المنطقة وعن أميرها الأكيدر حين قدم به خالد بن الوليد ولقد زارت الجوف الرحالة الإنجليزية "الليدي أن بلنت" في القرن الثالث عشر الهجري وتحدثت عن بلاد الجوف وعن شيوخها وكتب فيلبي عن الجوف ووادي السرحان وتحدث عن آثارها مما هو بارز في كتابات وآثار وابنية قديمة كما أن الكتابة الصفوية من أبرز معالم الآثار في وادي السرحان الذي هو جزء من هذه المنطقة، ولقد حفظ لنا الشعر العربي أسماء كثيرة من المواضع في هذه البلاد وحصونها ومسجد عمر بن الخطاب، ولقد عرفت الجوف منذ القدم بأنها من أهم المواقع التجارية في شمال الجزيرة العربية لوقوعها في ملتقى طرق رئيسية وكان بها سوق شهير يعقد في دومة الجندل من أشهر الأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعد جولة في ربوع هذه المنطقة والتي أصبحت اليوم تعيش في نهضة حضارية وواحة زراعية ورياض واخضرار، وفي كل ناحية تاريخ وتراث ومشاريع وتطور وعمل ناجح مردداً قول الشاعر العربي:

والجوف مخضل الجوانب مشرق وشذى الزهور يشيع في الأرجاء

تيماء ملتقى الحضارات

مدينة تاريخية قديمة تقع بين المدينة وتبوك وذات تاريخ عريق موغل في القدم وخلال حضور مناسبة ثقافية في المدينة المنورة حرصت على زيارتها فتوجهت من المدينة المنورة التي تبعد عن تيماء (٢٢٥)كيلاً وقد قطعنا الطريق دون مشقة أو عناء أو سأم مع مجموعة من المؤرخين حيث كان الحديث عن التاريخ وعن هذه المنطقة من بلادنا وبعد استراحة قصيرة في منزل أحد سكانها خرجنا في جولة حول المدينة حيث شاهدنا حصن السموأل المتصل بسور البلدة وهو تل عريض مبني من الحجارة وقد تهدم كثير من جوانبه بحيث لم يبق منه سوى الأساس ثم ذهبنا إلى بئر هداج في وسط البلدة والبئر حفرة عميقة مطوية بالحجارة وقمنا بجولة في مناطقها المختلفة فهي مدينة أثرية ولها ذكر في التاريخ وكتب الرحالة ومركز من مراكز الحضارة العربية القديمة لوقوعها على الطريق التجاري بين مصر وبابل وبلاد الشام ومكة والمدينة وكم تذكرت قول الأعشى:

بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار

وقول امرئ القيس:

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطمأ إلا مشيد بجندل

وخلال جولتي في المدينة كنت أتأمل ما كتبه المستشرقون وأسماء الأماكن والآثار وقد دعانا عدد من الإخوان بتناول القهوة في منازلهم فكانت فرصة للحديث عن المعالم الأثرية والتاريخية وما كتبه جون فيلبي وغيره حيث تعتبر تيماء من أقدم مدن المملكة وقد أثبتت الآثار الموجودة فيها ذلك ويذكر المؤرخون أن أول من نزلها العمالقة من بني سام ولقد قال ابن خلدون من العماليق بنو الأرقم بتيماء كما أن الوثائق الأرامية القديمة التي عثر عليها في تيماء تتحدث عن تاريخ هذه المنطقة وسكانها القدامى وأنها قامت وعمرت في القرن الخامس قبل الميلاد كما ورد اسمها في جغرافية بطليموس.

ولقد ورد ذكرها في الشعر الجاهلي في شعر النابغة وامرئ القيس وغيرهما من الشعراء كما تجاذبنا الحديث مع الإخوة عما كتبه الهمداني وياقوت الحموي وصاحب الأغاني وما ذكره الشاعر كثير:

وخبر تماني أن تيماء منزل لليلى إذا ما الضيف ألقى المراسيا

وأغلب سكانها اليوم ينتمون إلى طي ولقد نقل كثير من آثارها إلى المتاحف الغربية وبعد جولة في ربوع هذه المدينة التاريخية ومشاهدة آثارها ومعالمها التاريخية رددت قول السموأل صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يعز على من رامه ويطول

وتيماء حافلة بالمواقع الأثرية الموغلة في القدم تختلف فيها جميع الفترات الحضارية حيث أصبحت في فترة من الفترات العاصمة التي يدار منها حكم مملكة بابل في العراق وجاء ذكرها في عدة أسفار من التوراة وكانت تيماء في الفترة الإسلامية إحدى مواقع تجمع جيوش المسلمين المتجهة إلى الشام، وبعد زيارة تاريخية مؤثرة غادرناها مردداً قول الشاعر:

وتارة ننتجي نجدا وآونة شعب الغوير وطوراً قصر تيماء

تبوك تاريخ عريق

في صباح يوم مشرق جميل توجهت مع نخبة من الأدباء في ١٤٣٠/٥/١٩هـ إلى تبوك، بناء على دعوة من رئيس النادي الأدبي في تبوك الصديق الدكتور مسعد العطوي للمشاركة في الملتقى الثقافي الأول بتبوك، وهي مبادرة رائعة ومنجز ثقافي لإيجاد مثل هذه الفعاليات والملتقيات الفكرية المثرية للساحة الأدبية.. فتنظيم هذا الملتقى يدعم الحراك الثقافي ويعزز حركة البحث الأدبي وإثراء ثقافة الوطن ودعم الحركة الثقافية والأدبية في المملكة ورصد الواقع الثقافي.. ولتبوك عمق تاريخي وثقافي، حيث اجتذبت نحوها الكثير من الرحالة والمؤرخين والكُتَّاب الذين حفلت كتبهم ومؤلفاتهم بالكثير من المعلومات عنها التي تُمثِّل حلقة من حلقات التواصل الحضاري والمعطيات الحضارية، ولهذا فقد تعددت المصادر وبمختلف اللغات حيث دوَّن المؤلفون والكُتَّاب والرحالة والأجانب والمسلمون الكثير مما يتعلق بتاريخها وجغرافيتها لأسباب كثيرة أولها غزوة تبوك للنبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة للهجرة وكونها ممراً لقوافل الحج، وتاريخها القديم وغير ذلك مما ذكره المؤرخون ومما ذكره ابن هشام والطبري وابن الأثير والواقدي والمقدسي والسمهودي وغيرهم.. ومنذ وصولنا إلى تبوك مع مجموعة كبير من الأدباء والمثقفين ورؤساء الأندية الأدبية ونحن نحظى بالحفاوة والتكريم، يأتي في مقدمة ذلك زيارة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان أمير منطقة تبوك في مكتبه بالإمارة حيث استقبل المشاركين في الملتقى الثقافي الأول ورحب سموه بالمشاركين من الأدباء وشكر سموه رئيس نادي تبوك الأدبي ومنسوبي النادي على دعوتهم لعقد هذا الملتقى لمناقشة مواضيع مهمة في مجالات الثقافة والتنمية والذي سيحظى بمداخلات وأفكار المشاركين بما يعود بالفائدة.. وافتتح سموه ملتقى تبوك الثقافي الأول (الثقافة والتنمية) في قاعة فندق صحارى وتحدث سموه عن

التنمية وعلاقتها بالثقافة وتطرق إلى مفهوم الأمن الفكري الذي أصبح ضرورة ملحة نظراً لما نواجهه من تحديات ثم تحدث رئيس النادي الأدبي بكلمة ضافية عن الملتقى ومحاوره واستعرض الإسهامات الثقافية التي تضطلع بها بلادنا اليوم، ثم ألقى الدكتور عبد الرحمن الشبيلي كلمة المشاركين في الملتقى استعرض فيها التنمية الثقافية وأثرها على المجتمعات مبيناً فيها مراحل التطور في المملكة وتحدث عن سيرة المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله- واهتمامه البالغ بركائز التنمية والثقافة في البلاد.. ثم انطلقت في اليوم الثاني جلسات الملتقى التي تضمنت أوراقاً عن التنمية والثقافة وحوارات أدبية مفيدة حول متطلبات التنمية الثقافية، كما استعرضت في ورقتي التي قدمتها عن كتابات الرحالة عن الحجاز وتبوك ووصف مشاهداتهم للمواضع وتحديدها وكم في بلادنا من مواضع وأماكن تاريخية حفل الشعر العربي بها وبذكر فيافيها وقفارها، وجرى للشعراء والمؤرخين والرحالة جولات وتنقلات سجلوها مرتبطة بأماكنها سواء في عصور ما قبل الإسلام أو بعده وقد جمع لنا ياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان كثيراً من العلم وكذا البكري في كتابه (معجم ما استعجم) وكتاب (المسالك والممالك) و(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وغيرها من الكتب التي تحتوي على أخبار جغرافية وتاريخية ومشاهدات، ولقد كان أثر الحج في الرحلات والمؤلفات بارزاً.. ومن المعروف اهتمام الرحالة بشمال المملكة وكان لكل رحالة اهتمام خاص بالنواحي التاريخية والسياسية أو الدينية وأكسبت كل رحالة شهرة معينة وهذه الرحلات مصدر هام لوصف الأحوال والثقافات عبر التاريخ.. وفي ظهر يوم الثلاثاء قمنا بزيارة لشركة تبوك الزراعية وهي صرح من صروح الزراعة في بلادنا وتجولنا في رحابها مع الذي شرح لنا الكثير عنها وعن إنتاجها وتناولنا طعام الغداء وصلينا جماعة داخلها وكنا نتمنى أن نذوق شيئاً من فاكهتها إلا أن الموسم ليس موسم فاكهة ثم عدنا للفندق والتوجه للمركز الحضاري

حيث افتتح سمو أمير منطقة تبوك حفل جائزة التفوق العلمي وكان حفلاً رائعاً ومتميزاً .

وبعد :فإن تبوك من أهم المواقع الأثرية بالمملكة فهي إحدى محطات الطريق التجاري القديم الذي يربط الجزيرة العربية ببلاد الشام ومصر وتركيا وهي إحدى محطات طريق الحج الشامي وبها معالم كثيرة وقد زرتها من قبل حين حضرت لإحدى المناسبات الثقافية مثل قلعة تبوك التي أقيمت في العصر العباسي ومحطة سكة الحديد التي أُنشئت عام ١٩١١م وبعض العيون والمساجد وغيرها إلى جانب ما تزخر به من كتابات ونقوش ورسوم صخرية تعود إلى فترات تاريخية مختلفة .

وفي الختام فإن أهمية هذا الملتقى تأتي في هذا الحشد الأدبي من أدباء ومثقفي بلادنا والمحاور الأدبية التي طرحت فيه من خلال مناقشة لعدد من القضايا الأدبية والأمور الفكرية وتحية تقدير وإكبار للنادي الأدبي في تبوك على جهوده العلمية والأدبية في سبيل خدمة الأدب والفكر والثقافة والإبداع.. والله نسأل أن يستمر وسائر الأندية في عطائها ورسالتها.. كما نسأله تعالى أن يحيط وطننا بالأمن والأمان والازدهار وأن يزيده علواً ومكانة وثباتاً واستقراراً.

ولقد زار تبوك عدد من الرحالة الأجانب ولقد ذكرت منذ القدم في المؤلفات الإغريقية وكتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل واستمر هذا الاهتمام في كتب الرحالة الغربية والمؤلفات الحديثة.

ولقد كانت فرصة القيام بزيارة لبعض المدن مثل الوجه وضباء وأملج والدرة والبدع وحالة عمار ولقد عم هذه البلدان الأمن والاستقرار وازدهرت فيها الحياة بكافة مظاهرها، ولقد كان من هذا الجزء مسرحاً لحضارات مختلفة منها الحضارة الثمودية واللحيانية والمعينية التي تعاقبت على أرض العلا والحضارة النبطية التي قامت في شمال الحجاز ومنها الحضارة المدينية التي قامت في الأرض المحيطة بالعقبة، وتشتهر هذه المدن بعدد كبير من المواقع

الأثرية والكتابات والنقوش ويرجع تاريخها لمختلف العصور الإسلامية حيث تنتشر بعض القلاع وهي تعكس في مجموعها تنوع النشاطات البشرية التي شهدتها هذه المناطق والدور الذي تميزت به خلال العصور الإسلامية.

ولقد شاهدنا في البدع آثاراً يعود تاريخها إلى آلاف السنين كبئر شعيب عليه السلام وعين موسى مما ذكرنا، بقول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]. وقوله مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه:٤٠]. ومدين هي اليوم محافظة البدع التابعة لمنطقة تبوك تبعد عنها ٢٢٠كيلاً وهي منطقة جبلية وساحلية على البحر الأحمر ومدين اسم يطلق على المكان الذي سكنه قوم نبي الله شعيب عليه السلام، ولقد سكنه هؤلاء قبل أكثر من أربعة آلاف سنة ولذا فهي منطقة تاريخية وسميت بالبدع في القرن العاشر الهجري وذلك لجمال المنطقة وما فيها من أشجار وخضرة.

وبعد جولة في هذه الربوع حافلة بالمتعة الفكرية والعلمية ومليئة بالفوائد التاريخية ودعتها قائلا:

كست الطبيعة وجه أرضك سندسا ... وحبت نسيمك إذ تضوع طيبا

وقول الشاعر:

تزهو تبوك ففيها اليوم تنمية ... والاسم يعرف إن تخفاك أسماء

زادت بها أرضها الخضراء رقعتها ... صرح عظيم لهذا الشعب إهداء

ويقول الشاعر سليمان المطلق:

طابت تبوك وطاب الفال والأهل ... وجد يوما به الأفراح تكتمل

في ربوع أبها

الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والتاريخ، وبدعوة كريمة من رئيس مجلس إدارة الجمعية التاريخية السعودية للحضور والمشاركة في اللقاء العلمي الثاني عشر في أبها حاضرة منطقة عسير برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد أمير منطقة عسير، ولقد كانت هذه اللقاءات العلمية للجمعية التاريخية في مناطق المملكة المختلفة فكرة موفقة من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز راعي الجمعية ورئيسها الفخري نتج عنها دراسات معمقة عن المناطق التي عقدت فيها مما كان له أثر في تعميق الانتماء الوطني ودعم الوحدة الوطنية، فالمؤرخون لهم دور فاعل في تعريف المواطن بإنجازات الوطن وبموروثاته الحضارية والأثرية، ولقد غادرت الرياض مع نخبة من الزملاء من جامعة الملك سعود وجامعة الإمام ووصلنا أبها صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٤٣٠/٥/١٧هـ، وكان الإخوة في استقبالنا من جامعة الملك خالد في أبها وتوجهنا نحو فندق قصر أبها حيث التقينا بالعديد من الإخوة المدعوين والذين يزيد عددهم على ٣٥٠ مؤرخاً وباحثاً من مختلف جامعات المملكة والبحرين وقطر وعمان وفي المساء افتتح صاحب السمو الملكي فيصل بن خالد أمير منطقة عسير بفندق قصر أبها اللقاء العلمي للجمعية التاريخية السعودية والذي يحمل عنوان "تاريخ عسير وحضارتها عبر العصور" وألقى رئيس الجمعية الدكتور عبدالله الزيدان كلمة قال فيها إنه لمن دواعي الغبطة لمنسوبي الجمعية التاريخية أن ينعقد هذا اللقاء السنوي الثاني عشر بمدينة أبها ولتكتمل فرحة المؤرخين السعوديين ومواطني منطقة عسير في هذا ا ليوم الذي يتولى فيه قادة الفكر التاريخي دراسة تاريخ المنطقة من جميع جوانبه لأن من يعي تاريخه كمن يقف على أرض صلبة تمكنه من بناء الحاضر واستشراف المستقبل، وأكد أن توجيهات الرئيس الفخري للجمعية صاحب

السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز بعقد هذه اللقاءات في مناطق المملكة كانت فكرة رائدة وموفقة نتج عنها دراسات تاريخية عن المناطق التي عقدت فيها ثم قدم المشرف على هذا اللقاء الدكتور سعد الحميدي شكره لأمير منقطة عسير على رعايته اللقاء ولجامعة الملك خالد ولقد اشتمل اللقاء على خمس جلسات ألقي خلالها ٢٤ بحثاً، ثم قمت بإلقاء قصيدة شعرية بعنوان "تحية أبها" مطلعها:

من الحجاز ومن نجد ومن هجر ... جئنا لأبها منار الفضل والأدب

تحية ملؤها الإخلاص مفعمة ... مليئة بالوفاء موصولة السبب

أبها الجمال تصوغ الحب أغنية ... أبوابها بالندى والخير والسحب

إن المؤرخ في صدق وفي ثقة ... هو الحفيظ على الأمجاد والرتب

وهي تزيد على خمسة وعشرين بيتاً، كما ألقى رئيس المجلس البلدي بأبها الدكتور سعد العثمان كلمة المكرمين من رواد التاريخ في منطقة عسير، وعبر الجلسات العلمية التي تزيد على ٢٤ بحثاً حول تاريخ المنطقة وحضارتها، كما احتوى البرنامج على القيام بزيارات ميدانية لعدد من المواقع التاريخية والحضارية بالمنطقة وزيارة مركز آل زلفة الحضاري والثقافي بأحد رفيده وتشكل أحد رفيدة مما كان يعرف قديماً بمخلاف جرش وزيارة قرية بن حمسان التراثية وحضور الحفل الترفيهي الذي يجسد الفنون الشعبية في عسير، ثم تناول طعام العشاء الذي أقامه أهالي منطقة عسير احتفاء بأعضاء الجمعية وكذا زيارة منتزه السودة وزيارة قرية ألمع التراثية وغير ذلك من الزيارات والفعاليات الثقافية، والمعالم والشواهد الأثرية في المنطقة، وهكذا أمضينا أياماً حافلة بالفائدة والمتعة والذكريات والمناقشات التاريخية المفيدة والانطباعات الجميلة، ثم ودعنا أبها ونحن أكثر ما نكون شوقاً لها قائلاً:

حي الربوع وعرج في مدارجها ... تلق المكارم عند السادة النجب

في نجران مدينة الأخدود الأثرية

قمت بعدة رحلات إلى نجران خلال افتتاح السد وحفلات جوائز التفوق العلمي وحرصت خلال تلك الرحلات على زيارة الأماكن التاريخية والآثارية مثل الأخدود التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وقد سميت نجران بهذا الاسم نسبة إلى نجران بن زايد لأنه أول من نزلها وعمرها وبعد دخولها في الإسلام في السنة العاشرة للهجرة عين النبي ﷺ والياً عليها ومرت بأطوار تاريخية مشددة تذكرت خطيب العرب وحكيمهم قس بن ساعدة الآيادي المعروف بأسقف نجران وغيره من الرجال المشاهير على مر التاريخ ولقد قيل:

ففي نجران تبر من رغام كريم النبت من أزكى النبات

كما شهدت بعض الأسواق كسوق الأحد والاثنين والثلاثاء وسوق الأربعاء والخميس واشتهرت قديماً بالتجارة حيث تقع على الطريق بين مكة واليمن. وقد عرفت نجران قديماً وورد ذكرها في كتب الرحالة والمؤرخين وظهر اسمها على خريطة بطليموس قبل الميلاد ولقد بدأ التعليم بها حيث افتتحت أول مدرسة في عام ١٣٦١هـ. وتمتاز نجران بغزارة مياهها ونقاء جوها وطيبة تربتها وتأخذ اليوم نجران مسيرتها الحضارية آخذة بنواحي الحياة العصرية ومحافظة في الوقت ذاته على تراثها التاريخي ومكانتها التاريخية والاجتماعية، ولا شك أن كثرة ذكرها في كتب الرحالة والمؤرخين ليدل على أهميتها ورصدهم لأحداثها وتنعم اليوم بمشروعات الدولة وأعمالها التطويرية البناءة في مجالات التعليم والزراعة والاقتصاد والسياحة والثقافة وحرصت خلال هذه الزيارة على مشاهدة المدينة التاريخية والمتحف التراثي والأثري.

كما أن متحف الأخدود يضم الكثير من الآثار والشواهد والصور والرسومات لآثار عثر عليها في موقع المدينة التاريخية ويعود تاريخ بعضها لعصور ما قبل الميلاد، وبعد جولة في تلك المناطق غادرتها قائلاً:

كم ظلال زهت بها وتجلت ورواب جميلة الأفياء

في سراة غامد وزهران

لقد أتيح لي زيارة منطقة الباحة في مناسبات ثقافية وتربوية وخلال عملي في الدارة قمت بزيارة لهذه المنطقة. حيث كنت شديد الرغبة في زيارة جبال السراة حيث يقول أبو عمرو بن العلا أفصح الناس أهل السراة.

وفي يوم ١٤٠٥/٢/١٢هـ غادرت مطار الرياض بصحبة معالي الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز البراهيم أمير الباحة ووصلنا مدينة الباحة عصراً والأمير إبراهيم يتمتع بسجايا كريمة وأخلاق فاضلة وعلى جانب من الثقافة واهتمام بأمور التاريخ ولقد نظم لي برنامجاً حافلاً بزيارة مختلف مدن وقرى ومعالم هذه المنطقة، حيث قمت بجولات في مختلف أرجائها شاهدت أهم معالمها ومدنها وقراها ووديانها ومرتفعاتها واللقاء بمشائخها والاستماع إلى ذكرياتهم التاريخية وحصر المصادر التاريخية والمواقع الأثرية وكان المسير من الباحة ويجاورها بلدة الظفير وكانت قاعدة المنطقة قديماً، وحرصت على القيام بجولة في أودية السراة حيث المرور ببلدة رغدان وهي من أشهر قرى الوادي وبها سوق أسبوعي حيث شاهدت مختلف أنواع الفواكه والمنتجات الزراعية والقهوة البرية التي تزرع في جبل شدا وفي مرتفعات السراة شاهدت الكثير من القرى والمزارع والمناظر والجبال الشاهقة والأودية كوادي بيدة وبطحان وعيسان التي تحفل بالبساتين النضرة ومررنا بعدة قرى منها قرية الجدلان.

ولقد تتبعت ما كتبه ياقوت الحموي والهمداني والبكري وغيرهم عن بلاد الأزد والسراة وسألت مرافقي عن وادي بيده الذي مات فيه الشاعر العربي المشهور "الشنفرى" وهو أحد صعاليك العرب وعدائيهم يضرب به المثل في العدو وصاحب القصيدة المعروفة بلامية العرب وهي من عيون الشعر العربي ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم　　فإني إلى قوم سواكم لأميل

ولعل من أشهر المعالم في المنطقة غابة رغدان وهو أحد أودية الباحة

ووادي العلي وخلال الرحلة والتجول في المنطقة مررنا بعدة قرى في الطريق إلى بلجرشي وبلاد خثعم وجبل شكران والمندق وسوق رغدان الأسبوعي وجبل سيحان ووادي العقيق وجبال بيضان، ووادي أبيدة ولقد حفلت كتب التاريخ والأدب بذكر الكثير من بلاد الأزد، وبعد التجوال في تلك المناطق وقمم الجبال المشرفة على السراة كنت استعرض رائد المعجمات العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من وضع علم العروض وقضايا اللغة ومن مؤلفاته كتاب "العين" وكتاب "العروض" وكذا ابن دريد صاحب القصيدة المشهورة، وغيرهم من العلماء والأدباء والمحدثين من أبناء هذه البلاد.

لقد تطورت هذه المنطقة وانتشر التعليم فيها ولقد لاحظت كثرة الأسواق الأسبوعية مما يذكر بأسواق العرب القديمة ومررنا بالمخواة أرض الطبيعة الخلابة والجو الدافئ، وهي حلقة اتصال بين السراة وتهامة، وبالجملة فإن هذه البلاد تمتاز بمناخها الجميل فهي باردة صيفاً وشتاءً مما سيجعلها مصيفاً ومنتجعاً سياحياً والتمتع بطبيعتها الخلابة.

ولقد كانت السرواة منطقة خصبة تمد مكة والطائف وغيرها بأنواع شتى من الفواكه والعسل والقهوة وغيرها.

إن هذه البلاد من المناطق الهامة بحكم موقعها الجغرافي ونهضتها العمرانية والاجتماعية والعلمية والزراعية ولقد أتيح لي أن التقي بعدد من رجالها وأعيانها وأدبائها خلال جولتي في هذه الربوع ودارت معهم الأحاديث الأخوية حول التعليم والتراث وربط الماضي بالحاضر والحصول على معلومات تاريخية عن تاريخ هذه المنطقة وآثارها وحصونها الشامخة والتي هي جزء من تراث المنطقة وتاريخها متمنياً لهذه المنطقة المزيد من النمو والتطور والازدهار، وتحية لمن رافقني في هذه الرحلة الأستاذ علي السلوك وغيره من الإخوان الذين أغدقوا علي من حسن استقبالهم وكرمهم وتعاونهم وبقيت أحمل لهم أجمل الذكرى مردداً قول الشاعر العربي:

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والخلق الكريم

رحلة إلى جازان

الغاية من الحديث عن هذه الرحلة استجابة لدعوة كريمة من رئيس النادي الأدبي في جازان إلى الحضور والمشاركة في فعاليات الملتقى الشعري الثالث تحت عنوان (الخطاب الشعري المعاصر في المملكة العربية السعودية) التي ينظمها النادي بحضور عددٍ كبيرٍ من رؤساء الأندية الأدبية في المملكة والمهتمين بالمشهد الشعري والثقافي من شعراء وشاعرات وناقدين وناقدات، وقد غادرت الرياض صباح يوم الإثنين الموافق ٢٨ – ٢ – ١٤٣٠هـ وبعد رحلة طيران استغرقت ساعة وخمساً وثلاثين دقيقة هبطنا في مطار الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حيث كان في الاستقبال المسؤولون في النادي وتوجهنا صوب فندق حياة جازان، وكان الفندق ممتلئاً بوصول الإخوة الأدباء والشعراء من مختلف أرجاء المملكة الذين وصلوا إلى جازان موطن الشعر والأدب. وفي صباح يوم الثلاثاء افتتح صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر بن عبدالعزيز أمير منطقة جازان فعاليات الملتقى الشعري، حيث ألقى رئيس النادي الأستاذ أحمد إبراهيم الحربي كلمة رحب فيها بسمو أمير المنطقة لرعايته هذا الملتقى، مشيراً إلى أن فكرة الملتقى نبعت من حرص إدارة النادي على الاستفادة وتبادل الخبرات في مختلف شؤون الأدب وصنوفه المختلفة. عقب ذلك ألقى الأديب الشاعر أحمد البهكلي باقات فل جميلة من قصائد تتحدث عن الوطن وجمال جازان وروعتها، ثم ألقيت كلمة المكرمين ألقاها شاعر فرسان الأستاذ إبراهيم مفتاح، كما جرى تكريم الرعيل الأول من شعراء وأدباء منطقة جازان، ثم ارتجل سمو الأمير محمد بن ناصر كلمة رائعة، حيث قال يسعدني أن أكون مع هذا الجمع المبارك في أرض التراث والشعر والأدب ورحب بحضور الأدباء والشعراء قائلاً: نحن نشجع ونبارك بالالتقاء دائماً بأدبائنا وشعرائنا من كل أرجاء مملكتنا الحبيبة كما شدد سموه على أهمية تربية الأبناء والبنات والاهتمام بهم، فهم في حاجة إلى التوجيه من الشعراء والأدباء والنقاد كما

قال سموه نحن بلد الرسالة السماوية ولنا خصوصيتنا وأدبياتنا الخاصة ويجب أن نحافظ عليها وعلى هذا التراث والأدب وننقله من جيل إلى جيل من خلال التربية السليمة من البيت والمدرسة والنادي والإعلام ورجال الثقافة والأمن والتربويين، ونتمنى لهذا الملتقى التوفيق وتبادل الرأي والخبرة التي نطالب بها في حركتنا الأدبية.

ثم عقدت الجلسة الشعرية الأولى حيث ألقى مجموعة من الشعراء قصائدهم وفي المساء توجهنا إلى زيارة القرية التراثية بمهرجان جازان الشتوي، حيث شاهدنا ألواناً من الفعاليات التراثية، وفي المساء توجه الجميع إلى قصر صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر، حيث كان اللقاء بسموه وكان الحديث عن التنمية الشاملة في كل الميادين الصحية والتعليمية والعمرانية والسياحية، حيث ترجم سموه توجيهات خادم الحرمين الشريفين بأن تعم التنمية جميع مناطق المملكة، ولقد رأينا ذلك واقعاً ملموساً في منطقة جازان، حيث تلاحظ النقلة التنموية الكبيرة التي حصلت خلال السنوات الماضية من تعيين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن ناصر بن عبدالعزيز أميراً لمنطقة جازان، وبعد تناول طعام العشاء مع سموه عدنا للفندق لحضور الجلسة الشعرية الثانية حيث تبارى عدد من الشعراء في إلقاء قصائدهم. وفي صباح يوم الأربعاء كانت الندوة النقدية الأولى تضمنت بحوثاً أدبية ونقدية كما جرى تنظيم زيارة للمركز الحضري، وفي المساء كانت أمسية شعرية ثم الجلسة الشعرية الثالثة والرابعة اشترك فيها مجموعة من شعراء المملكة، ثم كانت الندوة النقدية الثالثة والرابعة تضمنت دراسات نقدية عن الشعر وقصيدة النثر وعجز شعرنا عن تجاوز الحدود والتجارب الشعرية الحديثة في المملكة، كما جرى تنظيم زيارة لمعالم جازان السياحية والأثرية، وفي صباح يوم الخميس حرصت على زيارة جزائر فرسان، حيث توجهنا بصحبة محافظ فرسان الأخ الفاضل عبدالرحمن عبدالخالق في الساعة السابعة صباحاً ركبنا متن البحر

في رحلة استغرقت الساعة والنصف ووصلنا فرسان البحر والآثار والتاريخ، وتشكل والمجموعة التابعة لها أرخبيلاً من الجزر المتناثرة وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر وعلى بعد خمسين كيلاً من مدينة جازان، وبعد استراحة في المحافظة توجهنا إلى زيارة شاعرها ومؤرخها الصديق إبراهيم مفتاح حيث جرى الحوار معه عن تاريخها وتراثها وشعرائها وصخورها البركانية وسهولها الساحلية وشعابها المرجانية ثم قمنا بجولة في مناطقها التاريخية والأثرية، حيث زرنا بيت الرفاعي ومسجد النجدي وعدداً من الجزر ويبلغ طول الجزيرة نحو سبعين كيلاً، وتتمتع بشواطئ غاية في الروعة والجمال حيث تمتاز برمالها البيضاء ومياهها الملونة الجذابة، ولقد تحدث عنها المؤرخون القدامى بفيض زاخر عن آثارها وتاريخها التي تبرز أهميتها وتتوفر فيها العديد من المقومات الرئيسة.

وبعد هذه الزيارة لجازان وجبل فيفا الشاهق وجزيرة فرسان غادرنا جازان إلى الرياض ، وفي الختام أقول من قصيدة طويلة:

أحييك يا جازان ألف تحية ... بكل معاني الحب صدقاً وإيماناً

شواطيك أعطاها الإله جمالها ... وزانت مغانيها جمالاً وألحاناً

في صحراء الدهناء والصمان

إن الصحاري تشكل معلماً مهماً في السياحة الشتوية وهي تشكل السواد الأعظم من أراضي المملكة صحراء الربع الخالي وصحراء النفود وصحراء الدهناء والصمان وهي مساحات جغرافية مكشوفة من أهم نقاط الجذب السياحي في الشتاء والربيع .

وبدعوة كريمة من الشيخ عبدالعزيز البابطين توجهنا صوب الصمان مع مجموعة من الأصدقاء كان السفر صباحاً من الرياض بتاريخ ١٤٢٧/٢/١٢هـ وكان المرور بالطوقي وروضة نورة وحفر العتش وعروق الدهناء وعرجنا على روضة التنهات وعلى غيرها من مناطق الربيع وتتميز الصمان بجو معتدل وبكثرة الأودية والشعاب فيها ومنذ أقدم العصور كانت الدهناء والصمان ممراً للقوافل العربية ومراعي ولقد قيل:

يمرون بالدهناء خفافا عيابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائب

وتوجد في أنحاء الصمان كهوف ومغارات وآثار تتمثل في النقوش والرسوم المحفورة على الصخور وعلى جدران الكهوف، والدهناء والصمان مناطق مترامية الأطراف متباعدة الأرجاء منبثة فيها الجبال منتشرة فيها الرمال والأودية وممتدة فيها السهول وفيها التضاريس، ولقد عني الباحثون والمؤرخون بذكرها وذكر رياضها وتحقيق أمكنتها وما قيل فيها من الشعر ومن يسكنها وقد كانت السيول تأتيها من روضة السهباء وروضة البجادية وروضة التوضحية حيث الدهناء ووادي حرض ثم الصلب والصمان حتى الخليج العربي كما أشار إلى ذلك الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" وكنت أردد قول الشاعر وأنا أرنو إلى هذه المناظر:

تمتع من ذرى هضبات نجد فإنك موشك ألا تراها

والصمان هضبة مستطيلة تقع في شرق الجزيرة العربية وتمتد إلى الربع

الخالي ويطول ألف كيل. ويسمى القسم الجنوبي من الصمان بالصلب والشمالي بالصمان، وخلال التجوال في رحاب الصمان الجرداء كنا نشاهد الرمال في الدهناء البيداء الشاسعة وتذكرت تلك الأيام الماضية حيث كانت الإبل تسير بخطواتها الخافتة عليها ودياناً وتلالاً ومناطق وعرة لا معالم فيها وكم مات فيها من رجال كما قيل:

ويدفن في الثرب الكريم وينتهي فلم يتفقده من الناس فاقد

فهي أرض قفار وتلال رملية ولقد وصفها بالجريف خلال رحلته وكذا فيلبي بالأرض الوعرة والموحشة فالدهناء مساحات قاحلة من الأرض أما الصمان ففيها ربيع ومراعي حيث تبقى فيها مياه الأمطار لبعض الوقت لتعطى الحياة للنباتات ويوجد بها بعض الرياض والمراعي والدحول مجمع المياه حيث يبحث الرعاة فيها عن الماء وقد يضل الشخص طريقه إذا أوغل في السير وكم استمتعنا بمشاهدة التلال الرملية والأكام المتناثرة لقد كان اجتياز الدهناء والصمان سهلاً وكنا نستمتع بمناظر الوهاد والتلال مردداً قول الشاعر:

وكم من تلال قد علا شرفاتها رجال فز الواو الجبال جبال

وفي هذه الصحراء الشاسعة أقول للسائق:

تمهل لا أرانا الله سوءاً وأنجانا من الأرض القفار

ومررنا بطويلع وهو منهل من مناهل الصمان الذي ورد ذكره في الشعر العربي.

فلو كنت حزناما بلغت طويلعا ولا جوقة إلا خميسا عرمرما

ثم تجاوزنا مجموعة من القرى كقرية العليا ولاحت لنا مزرعة "الشيط" حيث وجدنا الشيخ عبدالعزيز البابطين وأنجاله وأصدقائه الذي رحبوا بنا وبعد استراحة قصيرة كان التجول في المزرعة ثم حفل العشاء ثم أمسية ثقافية حيث قضينا تلك الليلة في ذكريات التاريخ والأدب وقد غمر

الجميع أبو سعود ببشاشته ومكارم أخلاقه ووجدنا منه كل حفاوة وتكريم وفي الصباح كانت جولة على القرى والمزارع المجاورة لتلبية دعوات أصحابها الذين غمرونا بكرمهم وحسن استقبالهم. وهكذا أمضينا في هذه الربوع أياماً جميلة في حفاوة إخوان كرماء وزيارة معالم من بلادنا وأماكن ومناطق لها ذكر وتاريخ ثم ودعنا تلك الربوع بعد رحلة ممتعة رغم السير الطويل ونحن أكثر شوقاً لها مردداً مع الشاعر العربي قوله:

بنفسي تلك الأرض ما أجمل الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا

روضة التنهات

روضة التنهات من أكبر رياض اليمامة وأشهرها وأطيبها وتقع في حصن الدهناء ويصب فيها عدة أودية منها الشوكي والعتك والطيري وقد ذكرها ياقوت في معجمه فقال موضع بنجد وتسيل أوديتها في الدهناء حيث يلتف سدرها وشيحها وقيصومها وتصدح أطيارها وكل نبت طيب فيها إذا جادها الغيث وكم كنا نخرج لها في أيام الربيع الذي يزيدها متعة وجمالاً وكانت متنزهاً للملك عبدالعزيز يقيم بها شهوراً أيام الربيع ويتجمع حوله شيوخ القبائل ورجال العرب حاضرة وبادية وكان مشهداً رائعاً وكذلك في روضة الخفس وروضة خريم وهي تبعد عن الرياض مائة وخمسين كيلاً جهة الشمال الشرقي ولقد ذكرها الشاعر فؤاد الخطيب حين لقائه بالملك عبدالعزيز إبان وجوده في التنهاة قائلاً:

حييت يا روضة التنهات زاهية ... بابن السعود المليك الأوحد البطل

وخلال زياراتي لها ومشاهدة غدرانها وأشجارها وطيورها ومناظر جميلة تسحر العيون وتأخذ بمجامع القلوب فكانت هذه القصيدة.

في روضة التنهات:

أزكى تحيات المحبة والهنا ... في روضة تلقى بها الأحبابا

فترى بها حسن المناظر والرؤى ... فتزيل عنك الهم والأوصابا

فزهت مناظرها بما ازدانت به ... فترى بها الأغصان والأهدابا

أضفت عليها السحب من تسكابها ... خلب النهى والحسن والألبابا

قد شاقني ما كنت أسمع نحوها ... أضحت بذلك منظراً خلاّبا

فاحت روائع روضها وربوعها ورأيت ما قد زادني إعجابا

أمسيت وسطسهولها وجبالها أمضيت ليلاً هادئاً جذابا

تلك الحياة جميلة في روضة التـ ـنهات طابت جيئة وذهابا

ورأيت في آفاقها ما شدني أبصرت حسنا في الرياض مذابا

نافت مناظرها جمالاً رائعاً فرذاذها بالغيث ظل ضبابا

وغدوت قبل بزوغ شمس نهارها لأرى غيوثاً قد همت وسحابا

سحر العيون ربيعها وجمالها تسبي الفؤاد مناظراً وهضابا

حقيقة إن التنوع المناخي والبيئي لبلادنا زاد الجذب السياحي ومتعة الاستجمام بهذه الرياض واستغلال المميزات التي تتمتع بها والاستمتاع بطبيعة الصحراء وممارسة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بعناصر ومقومات سياحة الصحراء الثقافية والرياضية.

في قلب صحراء الربع الخالي ومعجزة فوق الرمال

منذ مدة وأنا أترقب الفرصة لزيارة جزء عزيز من بلادنا وجاءت الفرصة حين وجهت لي شركة أرامكو السعودية الدعوة مع مجموعة من رجال الصحافة والفكر والأدب والإعلام، وذلك للإطلاع على صناعة البترول السعودية وقد تضمن البرنامج جولات ميدانية متنوعة وفي مساء يوم الجمعة الموافق ١٤٢٠/١١/٨هـ أقلعت بنا الطائرة نحو الظهران وقد كانت تسير بنا بين شعاب نجد وأوديته ورياضه الجميلة ورمال الدهناء الذهبية مردداً قول الشاعر العربي:

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائب

ووصلنا مطار الملك فهد الدولي في الدمام حيث كان في استقبالنا لفيف من مسؤولي شركة أرامكو ومن قسم العلاقات العامة حيث كان الترحيب والبشاشة وقد بادرنا مدير العلاقات العامة عصام توفيق وزملاؤه بكلمات لطيفة حيث قال: إننا نقدر بكثير من الامتنان تجشمكم عناء السفر واهتمامكم وحرصكم على مشاركتنا وقد خططنا ونسقنا لأن يكون برنامج زيارتكم حافلاً قدر الإمكان، ثم توجهنا صوب الفندق المعد للسكن في مدينة الخبر وفي المساء أقيم حفل عشاء على شرف ضيوف الشركة من رجال الصحافة والفكر والأدب، وقد حضر الحفل عدد من مسؤولي أرامكو ومجموعة من أدباء المنطقة الشرقية وجريدة اليوم والمكاتب الصحفية في المنطقة الشرقية وفي صباح يوم السبت توجه الجميع إلى مقر أرامكو السعودية بالظهران لزيارة معرض أرامكو وبئر الخير ومركز تخطيط وتنظيم توريد الزيت بمبنى الإدارة ومركز الحاسب الآلي بمبنى إدارة التنقيب وهندسة البترول ثم عقد لقاء واجتماع مع رئيس أرامكو السعودية ونوابه وعدد من المسؤولين بالشركة وجرى حوار مفيد ونقاش مثمر، ثم تناول الجميع طعام الغداء الذي أقامته الشركة

على شرف الوفد وتعرفنا خلال الاجتماع على مسؤولي الشركة من شبابنا الطموح الذين نعتز ونفخر بهم ثم جولة على الحي السكني والمكتبة ومبنى التدريب على الإدارة ومجمع مباني التدريب مروراً بحي الدانة والدوحة في الظهران. وفي صباح يوم الأحد فارقنا مطار الظهران على متن إحدى طائرات أرامكو السعودية إلى منطقة الشيبة" في الربع الخالي وكانت تسير بنا بين البحر والرمال والكثبان الرملية الشاهقة التي شهدت اهتمام الرحالة والمستشرقين الذين جذبهم سحر الصحراء وتكويناتها الرملية مردداً قول الشاعر أبي الطيب المتنبي:

إذا مضى علم منها بدا علم وإن مضى علم منه بدا علم

وكم توحي تلك المناظر بتاريخ عريق وتزخر بذكريات ولقد تحدث المستشرقون والرحالة عن صحراء الربع الخالي بحر الرمال العظيم حيث بقيت منعزلة عن العالم لقرون عديدة وكان مجرد ذكر اسمها يثير الرهبة والفضول والإحساس بالمغامرة معاً وبسبب كثبانها الرملية الشاهقة وظروفها المناخية القاسية وجفافها الشديد ووعورة مسالكها ظل الناس يعيشون على أطرافها تماماً كما يعيشون في المدن والقرى على ساحل البحر ينظرون إلى الصحراء الممتدة أمامهم بإعجاب شديد ولكنهم يتهيبون اقتحام مجالها وخلال رحلتنا كانت الشمس مشرقة والسماء صافية الأديم تشرق على الواحات والهضاب والرمال ولقد أخذت هذه الصحراء مكاناً بارزاً في روايات الرحالة والمؤرخين وفي قصائد الشعراء وأساطير الرواة وأخبار القصاص ولقد قيل الكثير من القصائد والروايات والأشعار.

ولقد كنت أرنو لتلك الكثبان الرملية وأكبر صحراء رملية بمساحة ٥٥٠ألف كيلو في العالم وما يختفي تحت رمالها من الزيت والغاز ثم هبطنا في مطار "الشيبة" وكان في الاستقبال مجموعة من الشباب السعودي يتقدمهم نائب الرئيس لعمليات الإنتاج بالمنطقة الشمالية ثم توجهنا إلى قاعة

الاجتماعات حيث ألقى كلمة ترحيبية وعرضاً موجزاً عن حقل الشيبة وفيلماً وثائقياً لمراحل تطوير حقل شيبة، ثم زيارة لمعمل فرز الغاز من الزيت ثم توجهنا نحو الخيمة المعدة لتناول طعام الغداء ثم جولة في ربوع هذه المنطقة حيث مناطق الإنتاج ومعامل التكرير، والمنطقة السكنية وبعض المنشآت المساندة رأينا الربع الخالي على الطبيعة بكثبانه الرملية الحمراء التي ترتفع إلى ٢٦٥ متراً ومناظره الجميلة، وانطلقنا في رحاب تلك الرمال والتقاط الصور وكنت ومجموعة من الأخوة نورد ما قيل من قصائد وأشعار وما ذكره الرحالة وما أورده "فيلبي" في رحلته للربع الخالي فكان الحديث ذا شجون بل يهيج الشجون على حد تعبير الشاعر العربي القديم:

وحدثتني يا سعد عنهم فهجت لي شجوني فزدني من حديثك يا سعد

وقول كثير عزة:

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

إن التاريخ والجغرافيا تتجسد في هذه الصحراء ولقد تحول اليوم إلى مدينة صناعية ومعلم حضاري متميز فلم يعد الربع الخالي خالياً ولقد أطلق عليه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز خلال زيارته التاريخية وافتتاح منشآت حقل "شيبة" "بالربع الخالي" ويقع هذا الحقل في الجنوب الشرقي لمدينة الظهران، ولقد أنجزت شركة أرامكو السعودية عملاً عظيماً ومشروعاً حضارياً واقتصادياً كبيراً فقد شاهدنا مدينة عصرية يقطنها ٧٥٠ نسمة وكلهم شباب سعودي لم تثنهم رهبة الصحراء عن سبر أغوارها والعمل في مجاهلها واكتشاف خباياها حيث انطلقوا للعمل في هذه الأرض التي كانت بالأمس موحشة ومرعبة لعدة قرون.

وقد جاء هؤلاء الشباب بعزيمة الرجال باحثين عما يختفي تحت رمالها من الزيت والغاز فقبل عشرين عاماً اكتشف المنقبون السعوديون حقل "الشبية" في الأطراف الشرقية من صحراء الربع الخالي وعندما حفرت بئر

الاستكشاف بئر شيبة رقم (١) في عام ١٩٦٨م اكتشفت كميات كبيرة من الغاز ومن الزيت الخام العربي الخفيف جداً الذي تبلغ كثافته ٤٢ درجة حسب مقياس معهد البترول الأمريكي والحمد لله البئر يحتوي على بلايين البراميل من هذا الزيت ذي الخصائص الممتازة. ولقد بقي البئر ضمن احتياطيات الشركة حتى عام ١٩٩٥م عندما ظهرت الجدوى الاقتصادية من استغلاله فضلاً عن التقدم الكبير الذي أحرزته أرامكو السعودية في تقنيات التنقيب والحفر والإنتاج والمعالجة التي يسرت السير في هذا الاتجاه.

لقد تحدث إلينا الأخوة الشباب عن هذا الحقل منذ بدأ تنفيذ العمل من الصفر تماماً حيث لم يكن هناك طرق ولا مرافق ولا خدمات وكان على كل من يذهب إلى هذه المنطقة أن يحمل معه كل شيء قد يحتاج إيه إضافة إلى وعورة التضاريس وقسوة المناخ صيفاً وشتاءً وبعد الموقع عن المناطق المأهولة وضخامة مكونات المشروع أصبح بالإمكان تصور حجم التحدي الذي واجهته أرامكو السعودية ولكن كما قيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

لقد أنيطت بهؤلاء الشباب مسؤولية تنفيذ الأعمال ذات العلاقة بالمشروع على الوجه الصحيح، حقاً أن هذا المشروع الذي شاهدناه على الطبيعة والمرافق والخدمات التي رأيناها لهو من أهم مشروعات التطوير النفطية في العالم بل هو في الواقع أكبر مشروع من نوعه في العالم خلال العقدين الأخيرين خاصة إذا أخذنا في الاعتبار الظروف الطبيعية المحيطة به ومدة إنجازه وبعد زيارة لمنطقة المشروع وشرح عنه بالأرقام تتمثل فيما يلي: أنجزت ٥٠ مليون ساعة عمل واستخدم ١٢٥٠٠ طن من الفولاذ المصنع وصب١٥٣ ألف متر مكعب من الخرسانة المسلحة ومد خط أنابيب طوله ٦٣٨ كيلاً وأنابيب بين المعامل طولها١٣٥ كيلاً وأزيح ٣٠ مليون متر مكعب من الرمال.

ولقد سألت عن مياه الشرب وكيف الحصول عليها فقال دليلنا لقد حفرت ثلاثة آبار لمياه الشرب ولقد وجد أن ملوحة الماء تزيد على ملوحة البحر

فأنشئت محطة للتقنية والتحلية كما جرى حفر بئرين لتصريف المياه، لقد شاهدنا في وسط هذه الرمال المجمع السكني والصناعي ومهبط الطائرات مما يدل على قدرة الإنسان السعودي على الإنجاز والتحدي.

إن الحديث عن هذه المنطقة لطويل والمعلومات كثيرة فما رأيت وسمعت يصعب نقله كاملاً وكتابته فبناء هذه المدينة السكنية في هذه المنطقة المعزولة من العالم يدل على قدرة أرامكو ومجابهة التحديات وقد حدثنا مدير المشروع قائلاً: أن فريق العمل أنجز كامل العمل بصورة لفتت أنظار المراقبين والخبراء من داخل المملكة وخارجها وقد عمل في المشروع أكثر من ١٣ ألف عامل في وقت واحد وهكذا تم هذا الإنجاز وبناء مدينة صناعية نفطية حديثة متكاملة تضم بين جنباتها ٢٥ ترليون قدم مكعب من الغاز و١٤ بليون برميل من النفط في ثلاث سنوات فقط وهذا عمل جبار وجهد كبير لقد كسرت شركة أرامكو السعودية حواجز نفسية كثيرة واسعدتنا بهذا العمل والإنجاز ذلك أن الإنسان السعودي من خلال هذه التجربة الصعبة أثبت قدرة وجدارة وكفاءة وأنه أهل للثقة أنها أعمال ومنجزات وحقائق على الأرض السعودية، وأن أبناءها ورجالها وشبابها مفخرة هذا العصر في كل مناحي الحياة بتوفيق الله محققين طموحات الحاضر ومتطلبات بناء المستقبل.

وبعد زيارة ماتعة لهذه المنطقة وهي بحق معجزة فوق الرمال، والتي تحتاج إلى كتاب مستقل يتضمن الدراسات التاريخية والآثارية والجغرافية وما قاله الرحالة والمؤرخون والمستشرقون، وزيارة هذا الجزء الغالي من بلادنا خيال يداعب كل من قرأ التاريخ وسمع عن تطور هذه المنطقة وما يختفي تحت رمالها من الزيت والغاز والخير الكثير إن شاء الله، ولم يعد الربع الخالي ذلك البحر من الرمال الذي ينظر إليه الإنسان بشيء من الرهبة وحب اكتشاف المجهول بل أصبح قطعة أخرى من الوطن.

ولقد غادرناه والنفوس مفعمة بتلك المشاهد ومليئة بالذكريات مردداً قول الشاعر العربي:

نزلنا هاهنا ثم ارتحلنا ... فدنيانا نزول وارتحال

في مناطق الشيح والقيصوم

مناطق الشيح والقيصوم كم نشعر بالحنين إليها خلال رحلاتنا في أيام الربيع. فهي مناطق جذب سياحي ومتعة للاستجمام.

وتحفل بلادنا بمناطق سياحية خلابة ومناظر طبيعية مغرية وأماكن ذات مجد تليد وماض حافل بالمآثر والمفاخر يشعر الزائر لها بالسعادة والانتعاش.

ولعل الأمر يحتاج إلى شيء من التوعية بأهمية السياحة الداخلية مع تنظيم لذلك خاصة في هذا العصر الذي أصبحت السياحة فيه علماً له قواعده الخاصة به التي تدرس على أعلى المستويات في أرقى المعاهد، وأصبحت الجامعات تناقش رسائل الماجستير والدكتوراه التي تتناول الاقتصاد السياحي، والتخطيط السياحي وغير ذلك من الموضوعات السياحية بنفس الأسلوب والطريق التي تناقش بها الرسائل التي تقدم في مختلف العلوم الأخرى.

ولعل ما ينبغي الإشارة إليه أن البعض من مواطنينا يعرفون الكثير من بلدان العالم وأماكن السياحة فيها أكثر مما يعرفونه عن مناطق بلادهم، وفي بلادنا اليوم مناطق سياحية جذابة ومواضع وأماكن حفل التاريخ والشعر والأدب عما فيها من آثار ومعالم وتغنى بما فيها من أودية وكثبان ووهاد ورياض هام الشعراء بها حباً فانتزعت أشواقهم، كما قام العديد من العلماء الجغرافيين برحلات دوّنوا فيها الكتب والأشعار.

فإلى جانب المناطق السياحية الخلابة توجد الأماكن التاريخية والأثرية والسياحية كأبها والباحة وكمدائن صالح وتيماء ونجران وابانان والعذيب والدهناء والصمان وطويق وثهمد وحومل (ورامتان) وجبل طي ومرخ والخفيسة وعيون الأحساء والأفلاج وغير ذلك من الثنايا والأودية والرياض والجبال والعقبات في السراة وتهامة، وغير ذلك مما لا مجال لتعداده من الأماكن

السياحية والأثرية، فهي ذات وفرة وكثرة وشهرة.

وهي مدونة في كتب التاريخ والمعاجم والأخبار والسير والشعر وما أثبته علماء المنازل والديار.

المهم أن الكثير يعرف أسماء تلك المناطق السياحية والأثرية فقط، ولكنه لا يعرف أين تقع إذ لم يرها أو وقف عليها، ولعل ذلك يرجع إلى عدم تنظيم رحلات سياحية لتلك المناطق وعدم توفر الاحتياجات العامة التي يحتاجها السائح والزائر.

وحبذا لو قامت شركة الفنادق والمناطق السياحية والهيئة العامة للسياحة والآثار بالتعاون مع أجهزة التنمية السياحية في المناطق وغيرها من مكاتب السياحة بدور إيجابي في هذا المجال كتنظيم رحلات سياحية وبذلك نكون قد أسهمنا في جذب الكثرين إلى التوجه للمناطق السياحية في داخل البلاد والتعرف على تلك المناطق الجميلة في بلادنا المحببة إلى النفوس والتقلب في جنباتها والإحاطة والمعرفة بها وبنباتها كالشيح والقيصوم والخزامى والأقحوان وغير ذلك من زكى الرائحة حيث تلبس الأرض قشيباً مزهرا.

فكم نحن في حاجة إلى أن نتعرف على بلادنا ومعالمها وأعلامها وآثارها وأمجادها التي شغلت الباحثين والدارسين والمستشرقين قديماً وحديثاً، اهتموا بالزيارة والكتابة عن المرابع والديار والمنازل والنجاد والأغوار والرياض والغدران، ومن يقرأ كتاب "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار" و"المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية" الذي حصر جل تلك الأسماء، سيجد فيضاً غزيراً من الأماكن والمناطق في هذه البلاد، وأن من يرجع إلى التاريخ سيجد أمجاداً وتراثاً ومنتجعات فسيحة رحبة سواء في مرابع نجد أو جبال وغابات السراة وتهامة أو مرابع الأنس في سواحل الحجاز ووديانه، والتي ألهبت مشاعر الشعراء وكوامن الأشواق فيهم، حيث كانوا يعيشون في رياض وجنات

الأندلس وشواطئ وأنهار النيل والفرات ودجلة ويردى، ومع ذلك كانت عيون الشعراء والأدباء ترنو إلى هذه البلاد وصحرائها ورياضها ووهادها ونجادها وسهولها ومرتفعاتها ونفحاتها ونسماتها. وكم نحن في حاجة إلى العمل على تنمية الصحاري تنمية مستدامة ذات العلاقة بتراث الصحراء خاصة أنها تشكل معلماً سياحياً وقطاعاً مهماً من قطاعات السياحة المعروفة عالمياً بالسياحة الشتوية..

مناطق الشيح تلقى في جوانبها الروض والسهل والوديان والقمم

نفحات الربيع وشميم عرار نجد

قمت برحلات متعددة متنقلاً بين رياض نجد وشعابها وأوديتها ومواضع الربيع الخضراء حتى حفر الباطن التي ازدهرت هذا العام بالخضرة والجمال حيث الأجواء الربيعية الجميلة، ولقد حبا الله بلادنا بطيب ونقاء هوائها وخصوبة أرضها حينما يخرج المرء للصحراء يشعر أن لها جمالها وطبيعتها الخلابة وجمالها الربيعي وحفيف رياحها الجميلة وجمالها الطبيعي،خصوصاً بعد أن تهطل الأمطار وتدرك رحمة الله الكثير من الرياض والأودية فتتبدل الأرض وتنبت من كل زوج بهيج وتتحول إلى جنان خضراء مختلفة النبات جميلة المشاهد والمناظر حيث تمرح العيون في جمال الطبيعة حين ترى الجبال والرياض مكسوة بالاخضرار والتلال تعلوها الأزهار والرياض تفيض بجمال الربيع كما قال البحتري:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وكانت فرصة طيبة للذهاب والتجول بين رياض نجد ومرابعها وسفوحها ومنحدراتها وجمالها المبهج بجمال النبات ومواضع البهاء والحسن مما يثير في النفس البهجة والانشراح والمسرة والابتهاج والحبور والنشوة والسرور مما ذكرني بقول الشاعر:

الأرض قد كسبت رداء أخضرا والطل ينثر في رباها جوهرا

وقال الآخر:

سقى الله نجداً والمقيم بأرضها سحاباً غواد خاليات من الرعد

وقال الشاعر:

ألا يا حبذا نجد وطيب ترابه وأرواحه إن كان نجد على العهد

وخلال فصل الربيع حيث الرياض الجميلة والنباتات البرية حيث تتعطر الأرض بأريج الخزامى والقرقاص، والحوذان، والبسباس، والعرار، والشيح،

والنصي، والنفل، وغير ذلك من النباتات والحمد لله على هذا الخير الكثير مما جعلني أردد قول الشاعر:

سقى الله نجدا من ربيع وصيف وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

وكنت أرنو لتلك الأرض والأودية والشعاب ومشاهدة تلك الهضاب ومخابئ (الكمأة) مستعرضاً أقوال الشعراء كقولهم:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وقول الآخر ولعله حافظ إبراهيم:

ولا تنس نجداً إنها منبت الهوى ومرعى المها من سانحات ورتع

إن طبيعة المكان تضفي على النفس البشرية حبوراً وابتهاجاً وتتميز بلادنابكثرة الأودية والرياض، وفي الربيع تكسوها الأعشاب وتزينها الورود ومياه السيول مما زاد في جمالها مما يجعلنا ننتقل بين تلك الرياض مثل: روضة مطرية والنظيم والخفيسة والكظيمة وصبحا وسدحا وحطابة وزبدة والمزيرعة وأم حجول وروضة أم شبرم والزلعا والمجمع وأم الذيابة وطاسات والقاعية وغيانة والشرارية والأمعر وأم هشيم وروضة نورة والحقاقة والخشم والتنهات وغيرها ولقد كسيت هذه الرياض بحلة خضراء مزدانة بأنواع شتى من النباتات والزهور ذات الرائحة الشذية والنسائم الصافية والهواء العليل، ولله در القائل:

ونجد إذا جادت به رهم الحيا رأيت به المكنان والنفل الجعدا

ولقد قيل:

ربيع نجد إذا طابت منابته يفوق في حسنه حمص ولبنان

أجل هذه رياض نجد جميلة معطاءة سخية إذا باكرها الغيث وتوالت عليها الأمطار حيث تجود بالنباتات العطرة الجميلة والأزهار اليانعة الباسمة فلله الحمد من قبل ومن بعد على ما أعطي، ولقد استمتعنا بمشاهدة هذه الرياض الخلابة وكذا الاستمتاع بالبحث عن نبات الكمأة (الفقع) بأنفسنا حيث يوجد بكميات كثيرة في كل مناطق الربيع مما يملأ العين بهجة وسروراً ولقد قيل (إذا ظهر الفقع صر الدواء وإذا ظهر الجراد انثر الدواء) ويوحي هذا

القول ويدل على دلالات متنوعة ينبغي الانتباه إليها.

حقاً ما أجمل بلادنا وما تحفل به من مناظر خلابة ورياض خضراء وما فيها من نباتات وزهور برية وما أجمل روائح الصحراء وعبيرها في بلادنا.

بلادي بها ما يملأ العين بهجة ... وتسلى عن الأوطان كل غريب

ولله در القائل:

هل العيش إلا ضجعة فوق رملة ... بنشر الخزامى والعرار تفوح

وللشاعر فؤاد شاكر من قصيدة طويلة:

أجل هذه نجد فسائل ربى نجد ... عن العرب الأمجاد من سالف العهد

عن الدين والأخلاق والحزم والحجى ... عن الشعر والتاريخ والعز والمجد

فمن روضة الخفس التي فاح عطرها ... إلى روضة التنهات في الفور الوهد

تطاول فيها العشب حتى كأنه ... سنابل أكمام تفتحن عن ورد

وهذا غدير فاض في أيمن الحمى ... ومن حوله ماء تدفق من عد

أطل طويق فوقه وكأنه ... حضينة آرام تقوم على ولد

وطن في القلب

كنت في رحلة خارج الوطن وفي ساعة من ساعات الشجن والشوق جاءت هذه الخواطر للوطن الحبيب والاعتزاز به وبأمجاده وتاريخه الحضاري.

يا موطني يا منار العلم والأدب ... يا قلعة المجد والتاريخ والحسب
يا مشرق الحب والآثار خالدة ... هواك يشفي سقام النفس من وصب
سقاك غيث الغوادي وهي رائحة ... بالمزن منسكبا في الصيب الصبب
أين الألي من رجال الشعر قد صدحوا ... في عالم الفكر بالإعجاز والخطب
نشيدهم صادح بالفن مؤتلق ... ومجدهم قد سما للأنجم الشهب
كانوا رجال بيان في ثقافتهم ... وشعرهم خالد يزهو مدى الحقب
فموطني غرة في هام أمتنا ... لولاه ما كان مجد الدهر للعرب
وموطني منهل للخير منطلق ... يدعو إلى الود والإخلاص من دأب
إن قيل ماذا بأيديكم نقول هوى ... داري بقلب محب عاشق حدب
أقول إن ننتسب للعز أجمعه ... وللعلا إنني زاه بذا النسب
شبابها وكهول العرب صاغهم ... رب الهدى عزة للناس والرتب
كم حدثتنا الرواة الغر في ثقة ... عنهم وعن مجدهم في سائر الحقب
هم الذين بنوا للدين عزته ... ووطدوا الملك بالنعماء والحسب
بيت العروبة والإسلام من قدم ... نسمو ونفخر بالكتّاب والكتب
وإن أكن نائياً أو بين صحبتنا ... أتيه يا موطني بالعلم والأدب
أهيم في حب أوطاني أكررها ... هل حب داري وأحبابي من العجب
ونشوتي إنني من صفو تربتها ... أشم بوح الندى من أيكها الأشب
أنا الحفي بقومي الغر أقدرهم ... إني بهم في الذرا في محفل لجب

بين الآثار والمتاحف السعودية

تعد مناطق المملكة العربية السعودية من أغنى مناطق العالم بالآثار، فقد عاشت على أرضها حضارات عديدة سادت قروناً من الزمن ثم بادت ولا تزال بعض آثارها بارزة للعيان، غير أن الكثير من آثار تلك الحضارات لا يزال مطموراً تحت الأرض مما يستدعي بذل جهود مكثفة لاستكشافها واستكناه أسرارها والقيام بالمسوح الأثرية وصيانة الآثار وحمايتها والتعريف بالآثار ودورها في تاريخ المناطق ولقد قمت بزيارة للعديد من المتاحف في بلادنا وهي تعني بالحفاظ على التراث الأثري والتاريخي، حيث تزخر المملكة بالعديد من الأماكن الأثرية والتاريخية التي يعود تاريخها لأكثر من (٣٠٠٠) سنة) ومن أبرز تلك المواقع الأثرية الحجر مدائن صالح الواقعة في محافظة العلا والأخدود بمنطقة نجران وسوق عكاظ وجزيرة تاروت وقصر مارد وقصر حاتم الطائي على سفح جبل أجا وتيماء في الجنوب الشرقي من تبوك والعنتريات بقصيباء في القصيم وثاج غربي مدينة الجبيل كما يوجد في المملكة العديد من المتاحف التي تحتوي على الكثير من التحف الاثرية منها المتحف الوطني بالرياض ومتحف الدمام ومتحف الأحساء، ومتحف مكة المكرمة ومتحف الجوف ومتحف تبوك ومتحف الباحة ومتحف تيماء ومتحف العلا ومتحف المجمعة ومتحف الطائف ومتحف حائل ومتحف جدة ومتحف المصمك ومتحف نجران ومتحف جازان ومتحف الحرمين الشريفين بمكة المكرمة ومتحف نجران ومتحف جازان ومتحف الحرمين الشريفين بمكة المكرمة ومتحف أرامكو السعودية بالظهران ومتحف صقر الجزيرة للطيران بالرياض ومتحف الآثار بجامعة الملك سعود وغيرها من المتاحف في بلادنا التي تنتظر زوارها للتعرف على ما تحفل به من مقتنيات وآثار وتاريخ حيث تعد المتاحف كتاباً حياً مفتوحاً تحضر شواهده من أعماق التاريخ. ولقد قيل:

وإذا لم تدر ما قوم مضوا فاسأل الآثار واستنب الديارا

كتب صدرت للمؤلف

١- كلمات متناثرة.
٢- رحلات وذكريات.
٣- على مائدة الأدب.
٤- مراحل إعداد المعلم في المملكة.
٥- رمضان عبر التاريخ.
٦- في التربية والثقافة.
٧- صور من الغرب.
٨- من أدب الرحلات.
٩- المفيد في الإنشاء.
١٠- الشذرات في اللغة والأدب والتاريخ والتربية.
١١- توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية.
١٢- رحلات إلى الشرق والغرب.
١٣- يوم في ذاكرة التاريخ.
١٤- شعاع في الأفق "ديوان شعر".
١٥- عبق السنين "ديوان شعر".
١٦- رفقاً بالفصحى.
١٧- مسيرة التوحيد والبناء "لمحات تاريخية".
١٨- كتب ومؤلفون.
١٩- في آفاق التربية وأفياء التعليم.
٢٠- آفاق فكرية وشجون تربوية.
٢١- صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين.
٢٢- رحلة إلى اليابان.
٢٣- اللغة العربية هوية وانتماء.
٢٤- رحلات وذكريات في ربوع بلادي.

- إلى جانب بحوث ومقالات في الصحف والمجلات الفصلية والشهرية وأحاديث في الإذاعة والتلفاز، وإسهامات إعلامية كثيرة.
- لديه عدد من المؤلفات والدراسات الأدبية والتاريخية ستأخذ إن شاء الله طريقها إلى النشر.

الفهرس

الموضوع الصفحة

المقدمة ٥
أهمية العناية بتاريخ مدننا وتراثها الثقافي ٧
الرحلات رافد ثقافي وتاريخي ٩
أدب الرحلات فن متميز ١١
الجزيرة العربية في عيون الرحالة ١٣
أول رحلة إلى الرياض في ١٣٧٠هـ ١٥
الجنادرية تاريخ وتراث ١٨
إشراقات الجنادرية ٢٠
وادي حنيفة بين الماضي الحي والغد المنشود ٢٢
وادي حنيفة اشهر أودية الجزيرة العربية ٢٤
رحلة إلى مكة المكرمة في سنة ١٣٧١هـ ٢٦
رحلة للمشاركة في ندوة أدب الحج في مكة المكرمة ٢٨
توسعة الحرمين عنوان وضاء ومعالم خالدة ٣٠
في جامعة أم القرى ٣٢
في رحاب الكعبة المشرفة ٣٤
أيام في طيبة الطيبة ٣٧
ما بين طيبة الطيبة وخيبر التاريخ ٤٠
في رحاب المدينة النبوية وزيارة لمجمع الملك فهد ٤٤
في رحاب المدينة المنورة ٤٦
في الجامعة الإسلامية ٤٧
رحلة إلى ينبع ٤٩

رحلة إلى الطائف ٥١
بين وج وقروى ٥٣
في حفل تكريم الشعراء الذين تغنّوا بالطائف ٥٤
أيام في سوق عكاظ بين وهج الماضي وشموخ الحاضر ٥٥
ما بين الوشم وسدير ٥٨
في جلاجل ٦٣
في عودة سدير ٦٥
في الغاط ٦٦
منطقة سدير وأهمية تاريخها ٦٧
في بلدة شقـراء ٦٩
في ربوع المحمل والشعيب ٧١
في حريملاء ٧٢
ما بين الخرج والوادي ٧٣
رحلة إلى أرض الذهب والتاريخ ٧٥
في وادي الدواسر ٧٨
في ربوع القصيم ٨٠
عنيزة ومهرجان الغضا ٨٢
رحلة إلى البدائع ٨٥
في عيون الجواء وقصيباء ٨٨
في مراتع حاتم الطائي ٨٩
بين مدن المنطقة الشرقية ٩١
الأحساء واحة النخيل والأدب ٩٣
في مدينة الجبيل ٩٧
رحلة إلى العلا ومدائن صالح ٩٩
الجوف حضارة وتاريخ ١٠١

تيماء ملتقى الحضارات ١٠٣
تبوك تاريخ عريق ١٠٥
في ربوع أبها ١٠٩
في نجران مدينة الأخدود الأثرية ١١١
في سراة غامد وزهران ١١٢
رحلة إلى جازان وجزيرة فرسان وجبال فيفا الشاهقة ١١٤
في صحراء الدهناء والصمان ١١٧
روضة التنهات ١٢٠
في قلب صحراء الربع الخالي ومعجزة فوق الرمال ١٢٢
في مناطق الشيح والقيصوم ١٢٧
نفحات الربيع وشميم عرار نجد ١٣٠
وطن في القلب ١٣٣
بين الآثار والمتاحف السعودية ١٣٤
كتب صدرت للمؤلف ١٣٥
الفهرس ١٣٦